# مدالله الوديد

بقلم / قسمة الشبيني

تصميم الغلاف / shimaa gonna

تنبيه وتنسيق
وتحميل الرواية
وغلاف داخلي /
ميجو

## الفصل الأول

غادرت غرفتها بإتجاه غرفة والدها الحبيب لتلقى عليه تحية الصباح قبل المغادرة .طرقت الباب برقة وفتحته بهدوء لتجده مستقرا ككل يوم بفراشه ينتظر رؤيتها قبل توجهها للجامعة .

ابتسامة بشوشة تكلل وجهه كالعادة لتندفع للداخل تتحدث بدلالها الزائد والذى هو جزء من شخصيتها :

أسعد اللّه صباحك حبيبي

فتح ذراعيه لتلبى دعوته فيحيطها بحنانه الذى لا ينتهى : أسعد اللّه اوقاتك صغيرتى المدللة .

تضحك لاصراره على مناداتها صغيرتى المدللة ، ولم لا يفعل !!

هى حقا صغيرته المدللة . من اسرف فى تدليلها منذ توفت والدتها وهى طفلة عمرها لم يتجاوز العامين بعد .

ابتعدت للخلف بسرعة : صغيرتك المدللة ستتعرض للتقريع اللاذع من أستاذها إن تأخرت اكثر من ذلك .

كان لا يزال متمسكا بأصابعها ليتركها فورا : فلتذهبى إذا .. أكره أن يؤذى أحدهم صغيرتى ولو بكلمة .

اتجهت للباب لتتوقف فجأة وتلتفت له : عدنى أن تكون بخير .

اتسعت ابتسامته : اعدك صغيرتى . سأكون بخير .

لتسرع خطواتها للخارج حتى استمع لإغلاق الباب الخارجى فبدأ يتحرك مغادرا فراشه .

*****

أسرعت الخطا فهى بالكاد ستصل قبل بدء المحاضرة الأولى . احنت رأسها لتخرج من حقيبتها مفتاح سيارتها الصغيرة التى وفرها لها والدها .

كم هى محظوظة لوالدها الحبيب .

اخرجت المفتاح لتجد نفسها ملتصقة بحائط بشرى لا تدرى كيف اصطدمت به .

نظرت بفزع لفستانها الزهرى والذى تلطخ بالقول الساخن الذى كان يحمله هذا الأحمق الذى اصطدم بها

لم تهتم بالسخونة بقدر اهتمامها بتلوث الفستان . رفعت عينيها بغضب لتواجه وجها قد احتقن لا تدرى لم .

ولم تكن لتهتم فى هذه اللحظة .

ضغطت على اسنانها بغيظ : انظر لما فعلت ايها الاحمق !!

ارتد خطوات للخلف : عذرا آنسة . لم اكن منتبها بشكل كامل.

لتصرخ بغضب مكتوم : وماذا افعل بعذرك !! لقد أفسدت ثوبى

اغمضت عينيها لتتابع : وكذلك يومى .

حمحم بحرج : لقد اعتذرت منك ..لكنك لم تكونى منتبهة ايضا فالخطأ مشترك .

رفعت عينيها ترمقه بغضب مضاعف ..تضرب الأرض بقدميها وهى تعود ادراجها ، إدراك أولى محاضراتها أمر مستحيل .بينما نفض هو عن ملابسه ما علق بها بلا اهتمام وهو يتمتم بحنق : مدللة حمقاء .

اقتفت عينيه إثرها مرغمة وهو يتابع : وفاتنة أيضا ..

ثم عاد أدراجه ليشترى الفطور مرة أخرى

******

فتحت باب الشقة لتلتقط أنفها فورا رائحة القهوة .
قطبت جبينها بغضب ، والدها ينتظر خروجها يوميا ليحتسى القهوة إذا ..

أغلقت الباب بهدوء واتجهت للمطبخ لتجده قد فرغ للتو من إعداد فنجانه .

عقدت ساعديها بغضب : هل هذا وعدك لى ؟؟

انتفض والدها : ياسمين !!! لماذا عدت ؟؟

اقتربت لتلتقط منه الفنجان : لا تجيب سؤالى بسؤال . لقد وعدتنى أن تكون بخير . كيف ستكون وانت تشرب القهوة التى منعها الطبيب ؟

ارتبك حسن وهو ينظر لفستانها الملطخ بالفول المدمس : صغيرتى فنجان واحد لن يضر كثيرا . أنا أحتاجه حقا .

أشار لملابسها بفضول مغيرا مجرى الحديث : كيف وصل الفول لفستانك هكذا ؟

لتغمض عينيها وكأنها تذكرت : اصطدم بى احمق ما اسفل البناية .

صمتت لحظة : لقد افسد يومى

قالتها بغضب طفولى ليربت أبيها على كتفها بحنان : بدلى ملابسك . لقد أحسن لى هذا الأحمق فسأحظى بفطور برفقة صغيرتى المدللة .

لم يتمكن من استعادة فنجانه الغالى بل سكبته بالحوض قبل أن تغادر . تلك الصغيرة العنيدة .

ابتسم بحنان بعد مغادرتها ، هو ليس غاضب منها ، بل هو يثق أنها تخشى فقده وما سكبته إلا حبا فيه .

اتجه فورا لإعداد الفطور حتى تنتهى صغيرته من تبديل ملابسها .

*****

بدلت ملابسها لتمسك بفستانها تنظر له بحسرة ثم توجهت للمرحاض لتنظيفه ، أمامها ثلاث ساعات قبل المحاضرة التالية وهذا وقت كاف تماما .

اتجهت للخارج حيث اعد والدها الفطور وجلس بانتظارها

جذبت المقعد وجلست بصمت ليتساءل : هل فوت أمرا هاما ؟

اشاحت بكفها : مجرد محاضرة .

ابتسمت له بحنان : هيا ساساعدك بإعداد الغداء قبل المحاضرة التالية .

ليضحك هو : تساعدينى !! هل انت جادة !!!

لتشاركه الضحك ، إنه محق تماما هى بالكاد تستعمل سكين الفاكهة دون إصابة أصابعها بجروح .

*****

فى شقة أخرى بنفس البناية ، يدخل وديد حاملا الافطار الذى اشتراه للمرة الثانية ليندفع نحوه صديقه جابر بلهفة : لم كل هذا التأخير وديد ؟ أنا اتضور جوعا .

لينظر له وديد بغيظ : ومنذ متى لا تتضور جوعا جابر ؟؟

لكن جابر لم يهتم إطلاقاً لملاحظته بل تناول ما بيد وديد ليسرع نحو المطبخ لإعداده .

عشر دقائق وكان الطعام جاهزا ليدعوه للمشاركة وبالطبع لم يتأخر وديد فإن فعل فلن يجد ما يتناوله .

لاحظ جابر شرود صديقه ليأكل بصمت هو يعلم أنه ينتظر تثبيته بالبنك الذى يعمل به وهذا الأمر يوتره

بشده فهو يخشى أن يخسر العمل وهذا يعنى خطوات للوراء والبدء من جديد.

*****

بعد ساعتين غادرت ياسمين . وقفت بإنتظار المصعد الذى تأخر لبعض الوقت . فتحت الباب لتستقله بصمت دون الاهتمام بمن يستقله بالفعل .

نظر لها جابر بإعجاب شديد ليحمحم قائلا : مرحبا . أنا جديد هنا .

لم يجد استجابة ليتابع : أقيم بالدور السابع برفقة صديقى هو صاحب الشقة وقبل بإستصافتى .

هى لا تجيب وهو لا يتوقف عن الثرثرة ، اخبرها أنه طبيب أنهى تكليفه ليأتى للعاصمة بحثا عن فرصة جيدة . وقد وجد فرصته بأحد المستشفيات الاستثمارية .

توقف المصعد لتحمد اللّه أنها ستتخلص من هذا الثرثار . تبعها للخارج ليتساءل : ألن ترحبى بى !! أو اعرف اسمك على الأقل !! نحن جيران

توقفت بجوار سيارتها لتخرج المفاتيح بهدوء وهى تقول : ياسمين أقيم مع أبى وأكره المتطفلين .

قالت جملتها بنفس لهجتها المتدللة ليبتلع ريقه بصعوبة وهو يحدق بها :تكره المتطفلين وتحدثه بهذه الطريقة !!! كيف ستتحدث إن أحبته اذا !!!

انطلقت بالسيارة لتقطع تدفق أفكاره الحالمة ليكتشف أنها غادرت . زفر بضيق واتجه سيرا إلى المشفى الذى يعمل به. رغم بعد المسافة إلا أنه يتخذها طريقة للمحافظة على جسده من البدانة .

هو يعشق الطعام ولا يمكنه مقاومته ، ولن يسمح لهذا الطعام الذى يعشقه أن يقتله ايضا .

****

كان يوما جيدا ل وديد بكل المقاييس فقد أعلنه رئيسه بالعمل أن إجراءات تثبيته قد تمت بالفعل .

ليكمل يومه بنشاط وحماس فقد استقرت أموره منذ اليوم ، عليه فقط الاجتهاد وسيكون مستقبله باهرا .

يعود من عمله عادة في الرابعة عصرا لكنه تأخر اليوم فقد قرر أن يحتفل بهذه المناسبة .

يحمل علبة الحلوى فوق كفه الأيمن وبذراعه الأيسر يحمل أكياس الطعام . سيعود جابر فى السادسة وسيسعد كثيرا بهذا الطعام .

هو أيضا يسعد بمشاركة جابر له شقته . تلك الشقة التى اشتراها بكل ارثه الذى منحه له عمه اخيرا .

يشعر بالراحة فهو الأن يقف على أرض صلبة .

****

أحكمت إغلاق باب السيارة لتخطو مسرعة كالعادة نحو مدخل البناية ليوقفها صوته الحازم : احذرى .

توقفت خطواتها لتكتشف أنها كانت على وشك الاصطدام به للمرة الثانية .

ابتسم براحة : حمدا للّه لم أفسد فستانك للمرة الثانية .

توترت فهى المخطئة حقا وحاولت الاعتذار : عذرا إنه خطأى .

اتسعت ابتسامته عكس تجهمه الصباحى : هل انت مندفعة هكذا دائما ؟

وصلا للمصعد فبادرت بطلبه : اعتقد أنى كذلك .

قالتها بنفس الدلال بل وزادته بسمتها فتنة ليحمحم بحرج ويتبعها لداخل المصعد الذى توقف أمامهما للتو .

ضغطت زر الدور الرابع ليقول : السابع من فضلك .

لتتبعه ضغطة أخرى للدور السابع لم تمنحه مبتغاه فهى تستعمل كفها الأيسر

انت طالبة بالجامعة ؟؟

تساءل بهدوء لتجيب برقة : بلى كلية التجارة الانجليزية .

ابتسم بود : لنا نفس التخصص إذا .. أنا وديد محاسب ببنك ...

توقف المصعد أمام الدور الرابع لتهم بالمغادة وهى تقول : تشرفت بلقاءك واعتذر عن الصباح واسم مميز بالفعل

فتحت باب المصعد وتوقفت كأنها تذكرت شيئا للتو : انت من تستضيف ذلك الطبيب الثرثار ؟؟

ضحك مرغما : إنه كذلك لا يكف عن الحديث إلا ليتناول الطعام .

لتضحك بنعومة ورقة : كان اللّه بعونك .

وغادرته ليغادر قلبه مرافقا لها . انغلق الباب ليتنهد وديد بأسف وأمام عينيه بسمتها وصوتها الرقيق : اسم مميز بالفعل !!!

*****

دخلت من الباب بهدوء لتتقدم فورا نحو غرفة والدها فهذا موعد قيلولته ، فتحت الباب بهدوء لترى ملامحه مسترخية فتعيد إغلاقه وتتوجه لغرفتها .

بدلت ملابسها وجلست فوق الفراش لتتذكر حديث صديقتها ريم التى وبختها كالعادة هذا الصباح .

تعلم أن ريم تحبها كثيرا ، وهى ايضا تحبها كذلك .

طالما حاولت ريم تغيير طريقة ياسمين فى الحديث بلا فائدة ، الدلال جزء من شخصيتها كيف تغيره .

ربما بمدارس الفتيات ثم بجامعة البنات وعدم اضطرارها للتحدث كثيرا مع الشباب ،هى تشعر بأريحية لنفسها .

كما توبخها ريم ايضا مطالبة إياها بالاعتماد على نفسها .. ريم محقة والدها لم يعد بخير وهى تعتمد عليه بشكل كامل فى تحضير الطعام وتنظيف المنزل . قد يكون اسرف فى تدليلها لكنه لم يفسدها .

هو يرفض مساعدتها من شدة حبه لها وخوفه عليها .

تحسست خطواتها للخارج . هو نائم الأن يمكنها أن تحاول إعداد الطعام

اتجهت للمطبخ بحماس : حسنا والدى سأبهرك حقا . ستكون فخورا بى

## الفصل الثاني

استيقظ حسن فزعا على صرخات ابنته طالبة النجدة ، اتجه ناحية الصراخ القادم من المطبخ ليجدها تقفز من شدة الألم وقد رفعت كفيها للأعلى.

أسرع نحوها ليجد إناء الحساء مسكوبا على الأرض وقد ظهرت آثار الحروق فوق قدميها : ياسمين .ماذا فعلت ؟ كيف حدث هذا ؟

ليتعالى بكاءها : أدركنى أبى هذا مؤلم للغاية .

اقترب لترفع كفيها بعيدا عن يديه صارخة ليرى احمرار أصابعها فيقول بحزم : هيا سنذهب للمشفى حالا

لازالت تقفز من ألم قدميها لتقول : هناك طبيب بالدور السابع ، لن استطيع السير أبى لن استطيع .

تحرك من فوره بقلب متألم نحو الخارج ليستقل المصعد للدور السابع .طرق أول باب قابله ليسأل إن كان هناك طبيبا فى هذه الشقة ليدله صاحبها على شقة وديد ف جابر لم يدخر جهدا في التعرف على جميع السكان .

أسرع يدق الباب بلهفة ليفتح له وديد : عذرا بنى اخبرونى أن طبيبا يقيم هنا .

ليهتم وديد فورا : بلى إنه هنا .

واسرع ينادى : جابر .

بينما كان الأخير منشغلا بتناول الطعام ليتوجه له وينهره : انت ايها الشره . رجل وقور يحتاج طبيبا بالخارج تحرك قد يكون الأمر طارئا .

تافف جابر وهو يترك الطعام ليتجه للخارج حيث حسن يقف بقلب متألم : لبيك عماه . هل انت مريض ؟

حسن : ابنتى احرقت يديها وقدميها . أدركنا بنى .

قالها وهو يمسك كف جابر الذى يحاول أن يخبره أن معالجة الحروق ليس تخصصه لكن مع اندفاع حسن اضطر للصمت ، حسنا سيفحصها فقط .

قد تكون الإصابة بسيطة .مجرد طفلة تعرضت لحرق طفيف ...

توجها للخارج بينما اغلق وديد الباب متأسفا على تلك الصغيرة التى لا يعرفها : طفلة مسكينة .

تمتم بأسى وهو يتجه للداخل .

دفع حسن الباب ليجذب جابر إلى المطبخ حيث ياسمين الباكية ليقف جابر متعجبا : انت !!! ماذا فعلت بنفسك ؟

تشهق ياسمين بقوة : ليس وقتا لثرثرتك يا هذا . أنا اتالم ...

قالتها وهى تمد كفيها أمامه ليقترب فيفحص كفيها ثم ينحنى ليفحص قدميها . كما توقع الأمر ليس بالسوء الذى يخشاه الأب

احضر حسن مقعد واجلس ياسمين ليقول جابر : الأمر ليس خطيرا كما تظن عماه ، ستحتاج فقط لدهان وبخاخ وستشفى خلال يومين على الأكثر .

تنهد حسن براحة : حسنا بنى شكرا لك اكتب لى اسماء الأدوية وسأحضرها فورا .

ابتسم جابر : كلاهما بشقتى بالاعلى . سأهاتف صديقى ليحضرهما ويمكنك الشراء لاحقا .

وأخرج هاتفه ليهاتف وديد بينما نظر حسن ل ياسمين معاتبا : لم فعلت ذلك ؟

اخفضت وجهها خجلا : اردت مساعدتك .. اردت ان تفخر بى . كان الامر يسير على ما يرام حتى حاولت رفع الإناء

ليقطب حسن جبينه كمن يعاتب طفلة : ألم تدرسى أن المعادن جيدة التوصيل للحرارة !! كيف تحملين إناء معدنيا دون حائل !!

لتخفض عينيها خجلا فيربت على وجنتها بحنان : حمدا لله انك بخير . أنا فخور بك دون اعمال الطهى .

ابتسمت ليقول برجاء : لا تعيديها صغيرتى المدللة.

أنهى جابر مكالمته ووقف يراقب ما يحدث شاعرا ببعض النفور ؛ الدلال لا يجب أن يكون مبالغا فيه بهذا الشكل . هى فتاة بالغة تدرس بالجامعة ولا تعلم كيف تحمل اناءا من فوق الموقد !!!

لحظات وطرق الباب معلنا وصول وديد بالدواء ليسرع جابر إليه . تبعه للداخل من باب الفضول ليقف بباب المطبخ بأعين متسعة وهو يراها تبكى بصمت .

نثر جابر رذاذ بخاخته لتصرخ وتدفن وجهها بصدر أبيها الذى يتألم بينما يزفر جابر بضيق : لن يكون مؤلما فى المرة القادمة .

شهقت ياسمين وهى توماً برأسها فى محاولة فاشلة لكبت الألم .

تحدث وديد اخيرا : لا بأس عليك . طهور إن شاء اللّه

ليدرك الجميع وجوده في هذه اللحظة فيقول حسن : عذرا بنى انشغلت ب ياسمين أنا لا اتحمل ألمها مطلقا .

ليتمتم وديد بلا وعى محدثا ذاته : ومن يمكنه تحمله عماه !!

وضع جابر الدواء جانبا : حسنا انتهينا . عليك استعماله بنفس الطريقة كل ست ساعات

حسن : سأحرص على ذلك .

شعرت ياسمين أن الألم أصبح محتملا بشكل كبير لتتساءل برقة : هل سيترك أثرا .

لتعود ل جابر طريقته المرحة ويجيب ضاحكا : لن يحدث اطمئنى ياسمين.

اخيرا شعر حسن ببعض الاسترخاء ليقول : حسنا تفضلا بالجلوس لقد أفسدت غدائكما وسأعوضكما عنه .

قالها وهو يشير للخارج ليجلس جابر برحابة بالصالون بينما حمحم وديد بحرج :عذرا عماه سنعود فى الغد للاطمئنان على ياسمين .هيا جابر لنغادر

قالها بحزم ليشعر جابر بالحرج وينهض متجها للخارج فالرجل سيعتنى بابنته من ناحية وينظف ما خلفته من فوضى من ناحية أخرى .

حاول حسن أن يستبقيهما لكن وديد أصر على المغادرة

استقلا المصعد لينشغل وديد بشروده عن جابر الذى أعاده للواقع بقوله : اعجبت بها كثيرا هذا الصباح .

حصل على كامل اهتمام وديد الذى تساءل : هل قابلتها هذا الصباح ؟

وصلا للشقة واغلق جابر الباب ولا زال يتحدث عن لقاءه ب ياسمين هذا الصباح صمت لحظة ثم قال بانبهار واضح : أرأيت كيف تتحدث !!! إنها رقيقة للغاية .

جلس أمام الطعام ليتابع : لكنها مدللة اكثر من اللازم . تخيل لا تعرف كيف تحمل اناءا من فوق الموقد

قال جملته الأخيرة وهو يهز رأسه بأسف ليتساءل وديد بترقب : هل انت معجبا بها ؟؟

تنهد جابر : لن اخفي عليك الأمر ؛ كنت كذلك بالفعل ، أظن أنى كنت منبهرا بها لا اكثر .

جلس همام ايضا يتناول الطعام : هل انت واثق جابر ؟ مجرد انبهار .

ليبتلع جابر الطعام ويقول بخبث : أنا واثق من امرى لا شك ، هى كيان من الدلال المتحرك كيف لا ينبهر بها الرجال ، أظن كل من يقابلها سيفعل .

قال جملته الأخيرة وهو يتفحص وجه وديد الذى شعر بإنقباض صدره لينهض عن الطعام بغتة : لقد شبعت .

ابتسم جابر بخبث وهو يتابعه أثناء مغادرته ليتتم : لقد وقع صديقى فى شرك دلالها المحكم ولا سبيل لإنقاذه .

*****

هاتفت ريم فى الصباح لتخبرها ما حدث وعدم تمكنها من حضور المحاضرات .

انبت ريم نفسها وشعرت بالحزن لأجل صديقتها الرقيقة ، ما كان عليها أن تطلب منها الاعتماد على نفسها ، هى تعلم أنها لن تستطيع .

لكنها أيضا تخشى عليها نوائب الحياة .

أنهت يومها واتجهت لمنزل ياسمين بعد أن أخبرت والديها بما حدث معها .

وقفت ريم بالمطبخ وقد أصرت على تجهيز الغداء لتريح هذا الرجل الحنون ولو ليوم واحد .

جلست ياسمين فوق الأريكة و بسطت قدميها أمامها و قد انتهى والدها للتو من دهن مكان إصابتها الذى بدأ يتحسن كثيرا .

طرق الباب ليتجه حسن إليه فورا ويعود بعد دقائق يتبعه وديد وجابر الذى ضحك لرؤيتها : كيف حال مصابتنا اليوم ؟

ابتسمت بهدوء : بخير . شكرا لك .

جلسا ليتساءل وديد باهتمام : كيف تشعرين اليوم؟؟

ألا زلت تتألمين ؟؟

هزت رأسها نفيا: لم يعد مؤلما فقط بعض الحرقة مع استخدام ذلك البخاخ .

نظرت ل جابر بلوم : الذى اخبرتنى أنه لن يكون مؤلما

ضحك جابر : هههههه . حسنا كنت اكذب ...

توجه حسن للمطبخ ليخبر ريم عن وجودهما ويجهز لهما كوبين من العصير .

أعدت ريم الطعام واتجت للخارج : الغداء جاهز .

التفت لها الجميع ليقول حسن : ارهقناك اليوم ريم .

لتبتسم ريم : لست مرهقة عماه . هيا جميعا تفضلوا .

نهض وديد بحرج : سنغادر الأن .

رفض حسن مغادرتهما دون تناول الطعام وساعده جابر فى هذا الرفض .

جلسوا جميعا واقبلت ياسمين تساعدها ريم وهى تسير ببطء

ما إن رأها جابر حتى انفجر ضاحكا وهو يشير إليها : تسيرين كالبطريق هههههه

كبتت ريم ضحكتها بينما غضب وديد بشكل غير مبرر واتخذ دور المدافع عنها فورا : أليست مصابة ؟

لم يبدو عليها الاستياء من حديث جابر بل جلست بهدوء : يجب أن أكون بطريقا باردا لاتحمل ثرثرتك .

ضحك جابر بلا تكلف وهو يشرع بتناول الطعام : هههههه تزعجك ثرثرتى سأتوقف إذا فتناول الطعام اهم من تبادل الحديث .

ضحك الجميع لعفوية جابر بينما نظرت له بصدمة وهو يتعامل مع الطعام لتنظر ل وديد : لقد كنت محقا تماما .

ضحك وديد وياسمين دون أن يفهم أحد سبب ضحكاتهما المشتركة .

*****

مرت الأيام ، توطدت العلاقة بين حسن والشابين وأصبح تواجدهما بمنزله أمر شبه يومى .

بدأت صحة حسن تتراجع بشكل ملحوظ مما أثر سلبا على ياسمين .

دخلت لحجرته تتلمس الأرض بالكاد حتى لا يشعر بوجودها .

نظرت بقلق لوجهه الشاحب . اخبرهما الطبيب بالأمس أن عليه ملازمة الفراش فحالة قلبه ليست مطمئنة .

عادت ادراجها للخارج لتتجه للمطبخ .

وقفت تتلفت حولها ، تريد إعداد حساء الدجاج ولا تعرف كيف يمكنها أن تفعل !!!

تساقطت دموعها حزنا ، ليتها تعلمت فيما سبق .

أمسكت هاتفها الذكي وبحثت عن طريقة إعداد الحساء ووقفت تنفذ الخطوات .

لحظات واصابت يدها بجرح لتكتم ألمها وهى تضغط موضع الإصابة .

عادت للبكاء بصمت وهى تنظر للفوضى التى خلفتها وهى بعد لم تنتهى من تنظيف الدجاجة وغسلها .

طرق الباب لتكفف دموعها وتتجه له فورا .

فتحت الباب لينظر لها وديد بفزع : ماذا حدث ؟؟ لم البكاء ؟؟

اخفض عينيه لكفها ليهاله اتساع بقعة الدماء فوق تلك الفوطة التى تضغط بها فوق جرحها لتقول وهى على وشك البكاء : لا استطيع إعداد الحساء .

تساقطت دموعها حزنا لحالها الذى يدعو للرثاء برأيها بينما قال وديد بحنان وهو يحاول أن يبتسم : لا بأس صغيرتى . يمكننى المساعدة .

لم ينتظر اجابتها وتقدم من فوره نحو المطبخ

## الثالث

هما بالمطبخ منذ نصف ساعة تقريبا وهى تراقبه يتحرك بسلاسة ودون توتر . أتم تنظيف الدجاجة وشرع في إعداد الحساء ومع كل خطوة يقوم بها يشرح لها ببساطة .

وضع الغطاء فوق الاناء وهو يبتسم لها : سيكون جاهزا فى غضون نصف ساعة .

تنهدت براحة : انت انقذتنى وديد .

طأطأت رأسها بخجل : أنا مدللة فاشلة لا أصلح لشئ .

ها هي دموعها تعود للتجمع ليقف هو عاجزا أمامها ؛ هى مدللة حقا ، ربما أكثر مما ينبغى لكن...

حقا يليق بها الدلال !!!

لكنها حتما ليست فاشلة ؛ الفاشل هو الإنسان الذى يرضى بذلك .هذه قناعته الشخصية .

تنهد بعجز : ياسمين هيا كفاك بكاءا ..الطهو ليس أمرا صعبا لتصفى نفسك بالفشل لعدم إلمامك به .

رفعت إليه عينين دامعتين لتعتصر قلبه بلا رحمة : اتظن أن بإمكانى تعلم الطهو ؟؟

ابتسم بود فى محاولة لإخفاء ألمه عنها : بإمكانك تعلم كل شئ صغيرتى . مادمت ترفضين الفشل فلن يصل إليك مهما حدث .

حاولت أن تبتسم ليتلفت حوله ويحاول تغيير مجرى الحديث : هل نعد بعض الارز ام المعكرونة ؟؟

لتنتفض بحماس : أنا أعشق المعكرونة .ايمكنك أن تعلمنى كيفية إعدادها ؟؟

لينحنى ضاحكا ويشير لها لتتقدم : لك هذا صغيرتى المدللة .

لم تنتبه لوصفه لها " صغيرتى المدللة" ربما لأنها اعتادته من والدها ، ربما لشعورها بالألفة تجاه وديد ، ربما لشعورها به كمسئول عنها .. هى فقط لم تشعر بالنفور منه .

انهيا إعداد الطعام لتنظر له بفخر : انت طاه ماهر .

ابتلع غصة بحلقة وهو يقول : كنت مضطرا للاعتماد على نفسى منذ الصغر .

شعرت بالمرار والألم فى صوته لتتساءل برقة وعفوية : هل عانيت كثيرا ؟؟

شرد للحظات متجمد الملامح قبل أن يقول : كان هذا فى الماضى .

عقدت ساعديها وهى تجلس أمامه : اسمك مميز حقا . اسمعه للمرة الأولى بحياتى .

عادت ابتسامته المتألمة : أطلقه أبى تيمنا بأمى

صمت لحظة خيل لها أنه يبتلع ألما مضاعفا ليقول : اسمها وداد .

تمنت أن تسأله المزيد .. لابد أن أبيه متيم بأمه .

كم تعشق القصص الحالمة !!!!

لكن أمام شعورها بألمه ألتزمت الصمت . لن تحمله المزيد . هو أيضا كما يبدو يريد انهاء هذا الحوار .

تحرك نحو غرفة والدها : هيا علينا أن نتفقد العم لنعد له الطعام .

دخلا بهدوء واقتربا من الفراش لتهمس : على إيقاظه فقد حان موعد الدواء

لياتيها صوت حسن دون أن يفتح عينيه : أنا مستيقظ صغيرتى المدللة ، أنا مسترخ فحسب .

اقتربت بابتسامة مشرقة : اه منك حبيبى كنت تنوى التهرب من الدواء

ضحك حسن : وإن استطعت فكيف اتهرب منك

تظاهرت بالحزن : اتريد التهرب منى !!

فتح حسن عينيه ليرى الألم بعينى وديد وهو يراقبهما ليقول : مرحبا بنى .تفضل بالجلوس .

تنحنح وديد ليبتلع ألمه : عذرا عماه اردت الاطمئنان عليك فحسب .. سأنصرف الأن .

لتسرع ياسمين معترضة : لن تغادر حتى تتناول الطعام .

نظرت لأبيها بسعادة : علمنى وديد إعداد الحساء والمعكرونة .. سأعده وحدى فى الغد اعدكما بذلك

عادت تنظر له : والان عليك تناول الطعام لأنه إن كان سيئا ستتناوله وحدك .

ضحك وديد هذه المدللة تحسن تغيير مزاجه دائما

ابتسم حسن : اشعر بالعطش . ايمكننا تناول مشروبا ما قبل الغداء ؟

أسرعت تتحرك دون أن تعى أن والدها يريد الانفراد ب وديد وهى تقول بحماس شديد : لنشرب الحليب أنا ماهرة فى اعداده.

غادرت لينظر فى أثرها بأعين متسعة : الحليب !!

ضحك حسن بخفوت : ستكون مجبرا على تناول الحليب ..اتناوله ثلاث مرات يوميا فهى تعشقه .

ابتسم لمجرد معرفته بذلك ليقول حسن : اغلق الباب واقترب منى بنى .

******

اتجهت للمطبخ لتفتح البراد بحثا عن مشروبها المفضل ، لكن تلك الكمية لن تكفى ثلاثتهم .

اتجهت للغرفة بلا تردد لتهاتف المتجر وتطلب عبوات الحليب وبعض الاغراض الأخرى للمنزل .

كانت عائدة لغرفة والدها لكنها وجدت الباب مغلقا .

هزت كتفيها وعادت ادراجها لغرفتها .

ستنتظر قدوم عامل التوصيل ، أمسكت هاتفها لتهاتف صديقتها ريم فهى بحاجة للحديث معها .

******

اغلق وديد الباب ليقترب من فراش حسن الذى تساءل بهدوء : ما سر هذا الحزن بعينيك بنى ؟؟انت بمقتبل العمر . ماذا حدث لك ؟؟يمكنك أن تقص على .

تنهد وديد بحزن ، لقد كان متعايشا تماما مع حياته بالماضى لم يكن يشعر بالنقص قبل أن يتعرف إلى حسن وياسمين .

لكن منذ دخل هذا البيت وأدرك قيمة ما فقد صار التعامل مع الألم يفوق طاقته اغلب الأوقات .

بدأ يقص عليه منذ البداية . حين توفى والده في صغره ، ولجمال والدته الملفت للنظر أجبرت على الزواج من

عمه فى مقابل الاحتفاظ به رغم زواج الاخير من أخرى .

لكن عمه لم يكن كأبيه مطلقا !!!

مع تقدم وديد فى العمر بدأت تظهر غيرة عمه منه لشدة شبهه بوالده الراحل وحب أمه الشديد له .

و لعدم انجاب والدته أطفالا لعمه كان يثور لمجرد رؤيته . يذكر أنه كان يستمع لصوته الغاضب وهو يقول : رحمك اللعين يرفض أن يحمل لى طفلا!!

بدأت علاقته به تزداد توترا كلما شب عوده حتى أنهى الثانوية العامة

عودة للوراء ..

مدينة بنها حيث يعيش وديد بمنزل عمه

دخل وديد من باب المنزل هاتفا : امى . اين انت ؟؟

ليخرج عمه من الغرفة بغضب مهندما ملابسه : ماذا تريد يا ابن امك ؟

تنهد وديد هو لا يريد مشاجرته : عمى اين امى هل هى بالخارج ؟

ابتسم عمه راغب نفس الابتسامة المستفزة : هى بالغرفة ولن تراها الان . اذهب إلى غرفتك حتى تأتيك .

كاد أن يغادر بالفعل فهو لا يريد صداما جديدا تكون أمه ضحيته كالعادة ليقول راغب كأنه يدعوه للمشاجرة : حين أفرغ منها ..

التفت وديد وقد ثارت دماءه واعماه الغضب ليصرخ : ايها الوقح .. رضيت بكونها زوجتك وكلانا مكره على ذلك . كفاك ابتذالا وخسة .

ليكون رد راغب صفعة قوية أخرجت أمه من الغرفة لتهرول إليه فتحول بينهما .

ترقرقت الدموع بعينيه وهى تربت على صدره برجاء : اذهب إلى غرفتك بنى . إنه عمك لا تغضب منه فهو كوالدك .

نظر لها وديد بألم يعلم أنها تحاول تهدئته وهى تعلم أنها تكذب لكن ليس أمامهما سبيل اخر .

تنهد بحزن : لن يكون كوالدى مهما حدث .

وكاد أن يغادر من فوره ليمسك راغب ذراعها يجرها للداخل وهو يصيح : ألم آمرك بعدم مغادرة الغرفة !! لم تصرين على عصيان أوامرى .

لم يتحمل وديد اهانتها أمامه مجددا ليجد نفسه يجذب راغب للخلف فيضطر الاخير للتراجع ويصيح وديد محذرا : اياك وايذاءها مرة أخرى ..

ابتسم راغب نفس بسمته المستفزة : ولم يا ابن امك ؟؟ هل ستوبخنى !! ام ستضربنى !!

غابت السخرية عن ملامحه وهو يقول بغل : امك لا تصلح زوجة لى . اعلم انها تكرهنى .. لكنى لن أطلقها

.. ستظل معاقبة ما بقى من عمرها .. هى ترفض إنجاب ابن لى لتظل انت ابنها الوحيد ..

شرد راغب وهو يتمتم بحقد : لا تريد أن تكون أما لأبناء رجل غيره .

نهرته برجاء : يكفى راغب . هذا أمر اللّه أنا لا ارفض الانجاب ألا يكفيك أبناء زوجتك الاولى ؟

اتسعت عينا راغب بغضب ودون أن ينتبه وديد وصل لها ليصفعها بقوة .

أسرع وديد لنجدة امه قبل أن يزيدها راغب ليلتفت له راغب : هذا اخر يوم لك بمنزلى . ستغادر تاركها خلفك .

اتسعت ابتسامته : هى زوجتى وانا اريدها ببيتى .

اتسعت عيناها وهى تسرع لتتمسك ب وديد : لا راغب ارجوك . سافعل أى شئ لكن لا تحرمنى ولدى .

ارجوك راغب ..يمكنك ان تفعل بى ما يحلو لك لن اعترض مطلقا لكن لا تحرمنى ولدى .

أسرع راغب يهجم عليها لينتزعها من بين ذراعيه بحقد لا مثيل له : تريدينه بالمنزل عليك طاعتى .

وجرها جرا لغرفته بينما تيبس جسد وديد وعجز عن الحركة أو المقاومة أو نجدتها من بين براثنه ...

افاق من ذكرياته حين ربت حسن فوق كفه بحنان وحزن وهو يرى دموعه تعلن عن عجزه وقهره وهو يقول : ظللت مكانى لساعة كاملة عاجز عن الحركة استمع الى ما تلاقيه على يديه فقط ليتركنى بالمنزل حتى سقطت مغشيا على حين لم اعد قادرا على التحمل ولا الحركة .

عاد حسن يربت على كفه متسائلا : واين هى والدتك الأن؟

زادت دموعه انهمارا : توفيت بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم وطردنى عمى بعد دفنها مباشرة من المنزل ، لم يمهلنى حتى لتلقى العزاء ولولا خوفه من ملامة الناس ما سمح لى بتلقيه نهائيا .

تعجب حسن : وكيف تدبرت امرك ؟؟

وديد : كنت اعمل وادرس واستأجرت غرفة بأحد المنازل فى قرية صغيرة بجوار بنها وبدأت المساعى للحصول على ارثى من مال أبى حين اتممت عامى الأول بعد العشرين لاظل لخمس سنوات أطالب بحقى حتى حصلت عليه أو على ما تبقى منه .

قال اخر جملة بمرارة واضحة فشعر حسن بالشفقة لأجل هذا الفتى لقد تحمل اكثر مما يمكنه تحمله .

******

وصلت الاغراض التى طلبتها من المتجر لتعد اكواب الحليب وتتوجه لغرفة أبيها . طرقت الباب ودخلت لترى أعين وديد المحتقنة فتتساءل برقة : ما بك وديد ؟

نظر لاكواب الحليب وابتسم : اشعر بالعطش وتأخرت بإحضار الحليب . هل ذهبت لحلب الأبقار ؟؟

ضحكت لتحمل عن صدره بعض الألم : يبدو أن عامل التوصيل فعل .

وضعت الصينية فوق الفراش ليتناول كل منهما كوبا ويسرع وديد برفع كوبه حتى اعاده فارغا فى لحظات .

نظرت له بدهشة واسرعت تمد كوبها له : ألا زلت عطشا . يمكنك الحصول على هذا ايضا.

لم يشعر حسن بالتعجب حين مد وديد يده دون حديث ليتناول منها الكوب ويشربه فورا .

فهذا الفتى يحترق داخليا .

دمعت عيني وديد وهو يعيد الكوب فارغا لتنظر له ياسمين وتقول برقة : اعتذر منك وديد . لقد كنت شديد العطش..

أشارت لوجهه : لقد دمعت عيناك . يحدث هذا معى حين اشرب بعد عطش شديد .

أسرع حسن يغير مجرى الحديث : ماذا عن الطعام صغيرتى المدللة ؟

ليشاركه وديد : تبدو بخيلة عماه .اليوم حليب والطعام للغد .

مرت عدة أشهر زادت علاقتهم قوة وزادت أيضا حالة حسن سوءا حتى اضطر الطبيب لنقله للمشفى . أصر جابر على دخوله للمشفى الذى يعمل به حتى يوليه كامل اهتمامه ورعايته . فهو كطبيب يعلم جيدا خطورة حالته .

يعلم أن وديد يكن مشاعر ل ياسمين ولم ينتوى التدخل في الأمر لكن بعد التطورات التي وصلت إليها حالة حسن لم يجد جابر بدا من التدخل .

وصل وديد للمشفى بعد انتهاء دوامه ليتجه فورا إلى جابر الذى استقبله بقلق واضح : مرحبا وديد من الجيد حضورك الأن فأنا أريد محادثتك بأمر هام .

جلس وديد متسائلا : هل الأمر يخص العم حسن ؟

هز جابر رأسه ثم قال : لا اريد التدخل بعلاقتك ب ياسمين . اعلم انك تكن لها مشاعر خاصة واعلم أيضا انك لا تتلاعب بها . لكن ..

صمت جابر كأنه يبحث عن كلمات مناسبة ليحثه وديد : ماذا جابر ؟؟ ماذا هناك؟؟

تنهد جابر بأسى : العم حسن يحتضر . عضلة القلب ضعيفة للغاية ولن يتحمل كثيرا فى الصباح طلب رؤية أخيه ..أخشى أنها ساعاته الأخيرة .

يقطر صوته ألما بينما تتسع عينا وديد بفزع . هو يعلم جيدا الألم الذي يخلفه فقدان الأحبة ... كيف ستتحمل صغيرته هذا ؟؟

ثارت أنفاسه غضبا من نفسه ، لن يسمح لها أن تعانى .. هى أرق وأضعف من تحمل المعاناة .

منحه جابر عدة دقائق ثم قال : أرى أن تسعده مادمت قادرا .

مسح وجهه ثم هبط كفه بلا وعى لصدره كأنه يربت على قلبه ليسكن .لحظات أخرى من الصمت قبل أن يتساءل : اتسمح لى برؤيته؟

هز جابر رأسه وهو ينهض عن مقعده : سأرافقك صديقى .

بعد دقائق كانا يدخلان لغرفة العناية الفائقة . برودة تسللت لقلب وديد . هذا المكان يزيد صدره انقباضا .تقدما ناحية الفراش ليتابع جابر الأجهزة بدقة بينما وضع وديد كفه فوق كل حسن الذى استجاب فورا لدفء كفه وفتح عينيه .

ما إن وقعت عيناه على وديد انفرجت شفتيه ببسمة شاحبة .ابتسم وديد يبثه بعض التفاؤل : اراك اليوم بحال افضل عماه .

تمتم حسن بخفوت : اشعر بالراحة اليوم حقا

ارتفعت عينا وديد لتصطدما بعينى جابر ليضطرب وينظر ل حسن : حمدا للّه .. عليك سرعة التحسن إذا فأنا من يعانى حقا .

قطب حسن جبينه بعدم فهم ليتابع وديد : عماه اعلم أن المكان غير مناسب لما سأطلبه لكنى اغالب قلبى منذ أيام فيغلبنى .

تنحنح بحرج : أنا أطلب منك الزواج من ياسمين واتمنى ألا تردنى خائبا .

اتسعت ابتسامة حسن وكست السكينة ملامحه وهو يقول : أنا اقبل بك زوجا لابنتى ..اعلم انك ستحسن رعايتها .

رفع عينيه نحو جابر : جابر ...

اسرع إليه : لبيك عماه .

حسن : اريد ان ارى ياسمين . اعلم انك تمنعها من رؤيتى لكن لم يعد هناك المزيد من الوقت لنخسره .

قاطعه حسن : عماه أن ....

يقاطعه حسن فورا : لا داعى بنى . فقط دعنى احقق اخر امنياتى لأرحل بسلام

وخزة مؤلمة لقلبه تبعت كلمات حسن ليتأكد وديد أن هذا الرجل يشعر بدنو أجله .وهذا يضاعف إحساسه بالعجز .

ترى ماذا تحمل الساعات القادمة !!!!

## الرابع

وصلت ياسمين للمشفى بصحبة ريم لتتوجه فورا لغرفة الرعاية الفائقة حيث يرقد والدها . وجدتا وديد يستند للجدار ويراقب حسن بصمت .

اقتربتا ليشعر بوجودهما . ودون أن يلتفت قال بهدوء :
سمح الطبيب بدخولك إليه .تفقدى الممرضة للتعقيم

تهللت اساريرها بينما تساءلت ريم : تحسنت حالته إذا ؟

كانت ياسمين قد غادرت بالفعل لينظر ل ريم : لا
تتركيها رجاءا . هى بحاجتك .

اختفت البسمة عن وجه ريم وانقبض قلبها لملامحه
الكئيبة واسرعت تنظر داخل الغرفة حيث حسن
يصارع الموت بصمت .

دخلت الغرفة لتتجه نحو الفراش بلهفة : حبيبى كيف
حالك ؟

فتح عينيه فورا : أنا بأفضل حال صغيرتى المدللة .

أمسكت كفه ليبتسم لها : صغيرتى اليوم عروس طلبها
منى من أراه مستحقا لها .

رأى بسمتها تذوب ليقول بحنان : وديد

دق قلبها جنونا وظهر اضطرابها وخجلها ، لم تتوقع تعجله الأمور بهذا الشكل . استشف والدها موافقتها الخجلة ليشعر بالسكينة .

دقائق ودخل جابر يطلب منها المغادرة ، اتجهت للخارج لتصطدم بعمها الذى يلهث فزعا خلف جابر وينظر لها معاتبا : سنتحدث لاحقا ياسمين .

جذبتها ريم للخارج ليغلق جابر الباب فهو لا يعتقد أن ما سيجرى حاليا يجب أن يشهده أحد .

وقفت ياسمين تراقب الغرفة ووصول عمها الذى تتعجب له ، نست تماما أمر وديد الذى يقف متحفزا لسبب لا يعلمه غيره .

ما إن رأى أخيه يعاتبها حتى قال مسرعا : لا تلم ياسمين حسين أنا من طلب منها عدم اخبارك .

صمت لحظة يلتقط أنفاسه : انت ايضا مريض اخى خشيت افزاعك وظننت أنها نوبة ستمر بسلام .

اسرع جابر يضع قناع التنفس فوق انف حسن الذى اعترض فورا : مهلا بنى لم يعد امامى الكثير من الوقت

أصر جابر على القيام بعمله : ارجوك عماه .فقط تنفس بهدوء ولا تكثر الحديث . انت لست بخير .

اقترب حسين برأسه من رأس حسن ليسمع همهماته من خلف القناع : هذا الشاب بالخارج تقدم لخطبة ابنتى وقبلت به . لا ترده اخى واعمل على إتمام الزواج بأسرع وقت .

تلاحقت أنفاسه ليقول حسين : استرح حسن لا تكثر الحديث . سنتمم زواجهما معا حين تمثل للشفاء .

هز حسن رأسه ليصمت حسين ويتابع : لا ترغم ياسمين على ترك المنزل انت اب لثلاثة فتية ولا اقبل إقامتها بمنزلك . سامحنى اخى لكنها رغبتى حقا لا تحاسب ياسمين عليها . يمكنك الحصول على نصيبك من الإرث بعد زواجها وتركها للمنزل .

اسرع حسين يضع كفه فوق صدر حسن الذى يعلو ويهبط بشدة : اهدا اخى سأنفذ كل رغباتك فقط لا تتحدث .

ونظر ل جابر الذى اقترب ليدفعه للخلف ويده تدق الجرس . وفى خلال دقيقة واحدة وصل طبيب وممرضان اسرعت إحداهما بإسدال الستائر .

إلتصق حسين بالجدار خلفه وهو يرى الطبيب يحاول إعادة النبض لقلب حسن الذى لم يتحمل المزيد .

ينتفض جسد أخيه ويعود للسكون ويعيد الطبيب المحاولة.

ما إن اسدلت الممرضة الستائر حتى ظهر الفزع على ملامحها وهرولت نحو الباب . أمسكت بها ريم فور إشارة وديد وهى تدفعها بفزع : اتركينى ريم ..اريد رؤية أبى . اتركينى .

وقف بجوار الباب ينتفض قلبه مع كل مرة يرتطم جسد حسن بالفراش المعدنى معلنا عدم استجابته للحياة .

وضع الطبيب الصاعق جانبا وهو ينظر لساعته ويقول بأسى : وقت الوفاة السادسة وسبع دقائق مساءا .

تنهد جابر بحزن وهو يغطى وجه حسن ليسقط حسين مغشيا عليه مع اخر نظرة لوجه أخيه الذى غادرته روحه للتو .

اسرع جابر وزميله إلى حسين ليقول جابر بسرعة للممرضة : احضرى فراشا بسرعة .

فحص نبضه ليقول زميله وهو يتحرك بحرفية : يجب فحص دمه فورا ، سأسحب عينة .

دقائق وعادت الممرضة ليحمل حسين للخارج . شهقت ياسمين حين رأت عمها فقدا للوعى لكن لم يمهلها القدر لحظة أخرى وخرج خلف فراشه فراش اخر يحمل جثمان والدها .

رمشت بعينيها عدة مرات وهى تهز رأسها نفيا ، التفتت للغرفة وكأنها ترفض أن تصدق أن الذى غادر للتو هو والدها .

لحق وديد بالفراشين إلى نهاية الممر حيث افترقا ليتجه الفراش الحامل لحسن إلى ثلاجة الموتى ويتوجه الفراش الحامل لحسين إلى غرفة الطوارئ لإسعافه .

مد وديد يده يتفقد جيب حسين ليخرج هاتفه ويفتحه فورا ، ويبدو أن حسين مستعد لمثل هذه الأمور فوجد اسماء أبناءه الثلاثة مسجلة يسبقها ابنى .

هاتف الرقم الأول ليجيبه محمود الابن الأكبر لحسين فيطلب منه التوجه للمشفى ليتسأل محمود فزعا : هل أصيب ابى بغيبوبة السكرى مرة أخرى ؟ارجوك أخبر الأطباء لسرعة إسعافه وسأكون بالمشفى خلال دقائق .

اسرع وديد خطواته نحو الطبيب : حسنا سأفعل وانا بانتظارك .

عاد ادراجه بعد قليل لتفقد ياسمين وجدها أمام باب غرفة العناية تجلس ريم بجوارها : ياسمين اجيبينى رجاءا !!

تهزها برفق لكنها لا تستجيب فيسرع جاثيا أمامها .

نظراتها متحجرة وعينيها معلقة بالغرفة ، نظر ل ريم التى قالت : هل اطلب طبيبا لفحصها !!

تنهد وقال برجاء : ياسمين ..انظرى إلى صغيرتى .

انتقلت عينيها بصمت لوجهه ليقول : ابك صغيرتى .. يمكنك البكاء لا بأس

نظرت ل ريم ثم عادت تنظر له متسائلة بضياع : لم !!!

ربتت ريم على ظهرها بحنو : توفى والدك ياسمين .

نظرت لها بحدة لتتابع ريم : البقاء لله ياسمين .

بدأت نظراتها الحادة تتبدل ويظهر التيه والشحوب على وجهها وسرعان ما أغمضت عينيها ورأسها يسقط للخلف .

مد ذراعه بلهفة يلتقط جسدها قبل أن تسقط عن المقعد بينما انتفضت ريم ، حملها واتجه لغرفة الطوارئ تتبعه صديقتها التى لم تتمكن من كبح دموعها أكثر من ذلك.

اندفع محمود لغرفة ملحقة ب الطوارئ ليجد والده ممددا فوق الفراش وقد تعلق بذراعه محلولا طبيا .

يقف وديد وريم بين فراشه وفراش ياسمين لينظر لها محمود بحيرة : ياسمين !!! إنها ابنة عمى . ماذا حدث ؟؟

اجهشت ريم بالبكاء بينما قال وديد : توفى العم حسن

ظهرت الصدمة على ملامح محمود الذى نظر لأبيه بشفقة : هذا اذا سبب سقطة أبى .

اقترب من الفراش بينما بدأ حسين يأن ويستعيد وعيه ، نظر للوجوه ليسرع له محمود : انت مؤمن أبى

تسللت عبرات حسين وبدأ تنفسه يضطرب وهو يتحدث إلى ولده : اين ابنة اخى ؟؟

اسرع وديد يغلق الستار بين الفراشين يخفى ياسمين عن عمها بفزع لم يفهمه أحد ، اضطرب محمود ولم يجد إجابة مناسبة لينهره حسين بوهن : ابحث عن ابنة عمك ايها الأبله . لا تتركها حتى تعيدها لصدرى .

نظر محمود ل وديد ، هو لا يفهم ما يجرى ولا يدرى كيف يتصرف ..هو حتى لا يعرف من هذه الفتاة الباكية؟ ولا من هذا الشاب الذى يقف متحفزا بلا سبب ؟

تنهد محمود وغادر على أمل أن يلحقه وديد فيفهم منه ما يحدث . بالفعل كان متوجها للحاق به حتى أوقفه حسين : ما اسمك ؟؟

نظر له : وديد

أومأ حسين وهو يكفف دموعه : اخبرنى اخى أمر زواجك من ابنته وسأنفذ وصيته وازوجها لك . لكن كيف تركتها وحيدة ؟؟ ألا تعلم مدى تعلقها بحسن؟!

بدأت نبرة صوته تتجه للمهاجمة : هل آمنك عليها لتتركها ؟؟

نظرات الألم بعينى حسين وخوفه الواضح على ياسمين حتى رد فعل محمود . اجتمعت الشواهد واتضحت الصورة أمامه ؛ ليس الجميع مثل راغب . قلبه يحمد اللّه أن عمها يشبه أباها كثيرا .

اقترب من فراشه يربت على صدره : اهدأ عماه . لم ، ولن اتركها مطلقا . أصيبت بإغماء أيضا . لم تتحمل الصدمة ..مثلك تماما .

انتفض حسين : ابنتى !!! اين هى ؟؟

كان يجاهد ليعتدل ليمد له وديد ذراعه ويرفعه . أشار ل ريم لتفتح الستار : أنها هنا تماما . لا تخف .

عاد محمود بعد أن طال انتظاره ليفهم ما يحدث ، وجد أبيه يعتدل جالسا ليسرع نحوه : أبى لا تغادر الفراش .. سأنادى الطبيب

أوقفه كف حسين : قربنى من فراش ابنة اخى . اريد ان اضمها لصدرى .

هو يعلم أن والده لن يتراجع . ساعده هو ووديد حتى وقف أمام فراشها بينما تقرب ريم محلوله الذى لم يزل معلقا بذراعه . تبدو شاحبة للغاية ، نظر لولده : احضر لى مقعدا واذهب لاتمام إجراءات الغسل والدفن واطلب شقيقيك ليحضرا .

اسرع مغادرا لينفذ ما أمره به والده ، دقائق ودخل الطبيب للغرفة ليتساءل فورا : لم غادرت الفراش ؟؟سيدى انت لست بخير .

نظر له وكأنه لم يستمع لما قال وتساءل : متى تستعيد وعيها ؟؟

تنهد الطبيب : فى أى لحظة . لقد أصيبت بهبوط حاد وهى بخير الأن .

نظر حسين لوجه ياسمين الشاحب وهو يقول : اريدها نائمة حتى صباح الغد .رجاءا .

أومأ الطبيب بتفهم واقترب منه : دعنى افحصك اولا .

***

مرت الساعات بطيئة حتى الصباح التالى . لم يغمض له جفن ، يجلس أمام غرفتها بعد أن أعادها للمنزل .

هى بحجرتها وترافقها ريم ووالدتها ، وجسمان حسن بالغرفة الأخرى يرافقه حسين بعد أصراره على حضور الغسل ولم يتمكن اى من أبناءه أن يثنيه عن ذلك .

جاوزت الساعة العاشرة صباحاً وقد ترك الباب مفتوحا . البعض يأتى ليصافحه ويجلس بصمت حتى عج المكان بغرباء لا يعرفهم .

عينيه تحلقان حول بابها وهو مستعد تماما للوصول إليها في لحظة .

***

فتحت عينيها تتأوه بضعف لتسرع لها ريم : ياسمين لا تتحركى سيصيبك الدوار .

نظرت ياسمين لملابس ريم ووالدتها السوداء لتعود لها ذكريات الأمس المرير . تلاحقت أنفاسها وهى تنظر ل ريم بفزغ : أبى !!!

تلفتت حولها : من اعادنى للمنزل ؟؟ اين أبى ؟؟

اسرعت والدة ريم تضمها : البقاء للّه بنية . اعادك عمك للمنزل ووالدك لم يدفن بعد . إنه بغرفته .

زادت ثورة أنفاسها وهى تتملص من بين ذراعيها لتهب واقفة ، شعرت بالدوار فأسرعت لها ريم لتنظر لها برجاء : خذينى إليه ريم .

سارت معها ريم بخطوات بطيئة للخارج فهى حقا لا تملك فى هذه اللحظة سوى الرضوخ لطلبها .تعلم مدى تعلقها بوالدها ومدى صدمتها لفراقه .

***

فتح باب الغرفة ليهب واقفا . كانت تستند إلى ذراعى ريم وتسير نحو غرفة والدها ببطء .كأنها مغيبة عن الواقع تماما ولم تر أى من الموجودين .

دخلت لغرفة ابيها لتجد عمها يتربع فوق الفراش وبجواره جسد والده المكفن ويرتعش صوت عمها المرتل للقرآن .

رفع عينيه الدامعتين لعينيها لتهرول نحوه فتلقى بنفسها بين ذراعيه ، وقف قرب الباب يراقب انهيارهما المشترك وكم آلمه أن تبكى على صدر غير صدره .

تنهد منفثا عن اشتعاله الداخلى ؛ حسنا هى تحتاج للبكاء . تحتاج للحنان ، وهو عاجز تماما عن مدها بما تحتاجه حاليا .

دار على عقبيه عائدا لمقعده ليرى جابر مقبل عليه فمن المفترض أن يحمل الرجال الجثمان للمسجد .انقبض قلبه للفكرة .

ترى هل ستتحمل صغيرته هذا !!!

هل ستتحمل خروج جثمان والدها من المنزل !!!

دخل محمود بعد قليل يعلم والده بضرورة التحرك .
تشبثت ياسمين بالجثمان تناجيه بقلب منكسر . اخيرا تمكن النساء من نزعها عنه .

كان وديد اول المتقدمين لحمل الجثمان يكفيه عجزه عن احتواء حزنها .

***

مرت أيام العزاء وحسين لا يبرح منزل أخيه . كذلك ريم لا تفارق صديقتها .يتردد وديد على المنزل بشكل يومى لتفقد الأوضاع وكثيرا ما يلتقى أحد أبناء حسين بالمنزل وكم يسوءه هذا .

فى اليوم الرابع للوفاة استيقظت ياسمين مبكرا تنوى التوجه للجامعة بصحبة ريم . ارتدت فستانا اسود وحجابا بلون بنى لتعلن نهاية الحداد .

خرجت من غرفتها لتجد عمها وريم يتحدثان بخفوت ، اقتربت لتجلس بهدوء ليتساءل حسين : هل ستغادرين بنية ؟

ياسمين وهى تنظر ل ريم : بلى عمى . علينا التوجه للجامعة .

نهضت ريم متجهة للداخل : دقائق واكون مستعدة .

أشار حسين ل ياسمين : اقتربى بنيتى .

اقتربت لتجلس جواره هى لن تنكر أن حنانه الشديد الشبه بوالدها ساعدها لاجتياز الأيام الماضية .

ربت على ظهرها بحنان لتظهر ابتسامة شاحبة على ثغرها فيقول : اود ان اتحدث معك بأمر هام .

شعرت بالقلق ؛ هل يريد العودة لمنزله !!!

هل سيتخلى عنها !!!

رأى القلق بعينيها ليقول : أوصانى اخى الغالى على إتمام زواجك بأسرع وقت . وانا ارى هذا ضروريا فأنت حتى لا تضعين محبسا . كما أن إقامتك وحدك غير مقبولة . واقامتك بمنزلى لن ترضى اخى الغالى .

تنهدت بحزن .حتى فى لحظاته الأخيرة كان يدبر لها حياتها : حسنا عمى احتاج فقط القليل من الوقت لنتحدث فى الأمر حين اعود .

عاد يربت على ظهرها بينما ظهرت ريم لتغادرا فورا .

توجهتا نحو المصعد الذى فتح عن وديد ينظر لها بدهشة : اين تذهبين صغيرتى ؟

رفعت عينيها تنظر له بحزن ، هو يناديها صغيرتى منذ فترة طويلة ورغم ذلك لم تهتم بسماعها إلا بعد رحيل والدها .

طال صمتها لتقول ريم : ذاهبتان للجامعة .

عاد للمصعد الذى كاد يغادره وهو يتساءل بحنان وقلق : حسنا هل يمكنك القيادة ؟

هزت رأسها نفيا وهى تخرج سلسة المفاتيح لتقدمها له : يمكنك أن تقلنا واحتفظ بالسيارة وسنعود بأى وسيلة أخرى .

تناول السلسلة دون أن يمس كفها وهو يخبرها أنه سيعود ليقلهما للمنزل هو يحفظ مواعيد المحاضرات فهو منذ فترة يترقب عودتها أحيانا بصحبة والدها الراحل واحيانا من شرفة شقته بالاعلى .

## الخامس

أعادها وديد للمنزل بصمت تصحبها ريم . وقف أمام الباب غير قادر على تخطيه ليجد من يضع كفه فوق كتفه . التفت ليجده محمود الذى تساءل : لم الوقوف بالباب ؟

تنحنح وديد : سأغادر انتظر فقط دخولهما .

ليربت محمود على كتفه : بل ادخل ، أبى يريدنا . وقد اخبرنى بموعد عودتكم .

توجه الجميع للداخل بصمت ، كان حسين يجلس فوق الأريكة ليرفع وجهه ويبتسم ل ياسمين وهو يرفع

ذراعه لتستقر بجواره : مرحبا بنيتى .كيف كان يومك ؟؟

بخير : همست وهى تضع رأسها فوق كتفه بينما يجلس الجميع بصمت ، نهضت ريم متوجهة للمطبخ : سأعد الغداء

أوقفها حسين : فيما بعد ريم .

عادت للمقعد ليربت على رأس ياسمين بحنو بالغ ناظرا ل وديد : انت تعلم وصية اخى الغالى . وانا لن اخذله .. سنحدد موعدا لعقد قرانكما ونؤجل الزفاف حتى تستعد ياسمين نفسيا لذلك .

أومأ وديد بتفهم : يمكننا تأجيل كل شئ . الوقت ليس ملائما لإقامة الأفراح .

اسرع محمود يوافقه الرأى : وديد محق أبى . لم يمر سوى أربعة أيام منذ توفى عمى .

اسكته حسين بنظرة صارمة ، ساد الصمت لدقائق قبل أن يقول حسين : لن يحزن لوفاة اخى مثلى أنا وابنته .

رفع وجهها لتنظر له : ولن يفرط أحدنا فى وصيته .

اومأت ياسمين توافق ضمنيا حديثه وهى تمد ذراعها لتحيط خصره فيتنهد ويقبل رأسها .

تنحنح وديد : إذا هل تحدد موعدا عماه لاقوم بالتجهيزات اللازمة ؟

صمت حسين دقيقة قبل أن يقول: اعتقد ان الجمعة يناسب الجميع . سيكون العقد هنا بمنزل اخى يمكنك دعوة من تريد من عائلتك وأصدقائك المقربين .

صمت وديد . وماذا يقول ؟؟

أنه وحيد !! منذ عمه طرده !! حسين يشبه حسن كثيرا لكنه عاجز حاليا عن التحدث بأى شكل كان ..

نهضت ريم بعد قليل تتجه للمطبخ ليلحق بها محمود ، تنحنح لتنتبه لوجوده وتنظر له .طلب منها بحرج مرافقة ياسمين فوالدتها متوفاه ، كذلك والدته .

مؤكد أنها ستحتاج دعما نسائيا لن يتمكن أحدهم من تقديمه لها .

ابتسمت ريم وأخبرته ببساطة أنها لا تنوى المغادرة فى القريب العاجل لتتسع ابتسامته فهو حقا لا يريدها أن تفعل

***

مرت الأيام متتالية وها هو وديد يخطو بثبات ظاهرى يصحبه جابر وقلة من أصدقائه .

استقبلهم محمد ابن حسين الأوسط دون أن يحاول إخفاء ضيقه ورفضه الواضح لهذه الزيجة .

خرج حسين من غرفة أخيه الراحل ليتجه وديد نحوه مباشرة . رحب به حسين وبعد قليل وصل المأذون بصحبة محمود .

***

كانت بغرفتها تستعد للخروج لهم تصحبها ريم وبعض الصديقات . ارتدت فستانا فضفاضا من اللون الوردى

وحجاب مماثل رقيق دون ايه مستحضرات تجميل رغم إلحاح الفتيات .

طلب منها محمود الخروج ففعلت دون أى مظاهر للاحتفال

تلهفت عينيه لرؤيتها ، لقد أصبحت اللهفة لرؤيتها هى كل ما تهتم به عيناه .

ما اجملها رغم الحزن المطل من عينيها !!

تم عقد القران فى دقائق ليبدأ الحضور بالمغادرة ، الجو العام لا يشجع على البقاء لمدة طويلة .

الصمت ..الهدوء الحذر بين الجميع ..

نظرات الأعين بين الحزن والغضب ..

لا أثر لأى شعور بالسعادة ..

لكنه سعيد !!! إنه كذاك !!!

منذ أن أعلنها المأذون زوجة له تسللت نسمة من السعادة الخائنة لقلبه الحزين لتذيب جزءا من حزنه هذا .

غادر الجميع عدا محمود ومحمد وجابر وريم ووالدتها .

نهض حسين بتثاقل : يمكنك البقاء وتناول العشاء برفقة زوجتك او يمكنك صحبتها للخارج لكن لا تتأخرا بالعودة .

نظر له وديد بتعجب بينما انتفض محمد غاضبا : ماذا تقول أبى ؟ عمى بقبره منذ اسبوع واحد وابنته خلعت رداء الحداد وارتدت رداء العرس !!

نهره حسين : محمد

صمت مكرها ينظر لوالده الذى قال : لا يحل لامرأة تؤمن باللّه واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاث ، إلا زوجا أربعة أشهر وعشرا .

تمتم محمد : اعلم أبى ولكن الناس ...

قاطعه حسين : الناس لا تعنينى مثل ابنة اخى ..
فليذهب الجميع للجحيم وانام قرير العين لتنفيذ وصية اخى الأخيرة .

لم يسمح حسين بالمزيد من الحوار وهو يتجه لغرفة أخيه مرة أخرى لينظر محمد للجميع بغضب ويغادر صافعا الباب خلفه بقوة .

تنهدت والدة ريم بحزن : لا تحزنى صغيرتى

هزت ياسمين رأسها ولم تجب لتقترب فتربت على كفها بحنان : أنا مضطرة للمغادرة ، يمكن ل ريم أن تقيم معك عدة أيام .. سأتحدث إلى والدها ليسمح لها بذلك

وامأت شاكرة بصوت مهزوز لتقبل رأسها وتغادر .

نظر محمود ل ريم بحرج : هل اساعدك فى إعداد العشاء ؟

نهضت من فورها : لا بأس يمكنك إعداد السلطة .

قالتها بمرح فى محاولة فاشلة لكسر حاجز الحزن المحيط بالجميع ثم غادرت يتبعها محمود .

رفع عينيه ينظر ل جابر الذى تحرك بصمت بإتجاه الشرفة واضعا سماعات الأذن لينفصل عنهما تماما .

نهض عن مقعده ليتجه إلى الأريكة حيث تجلس تتحكم بقوة في دموعها التى تكاد أن تفر ، جلس بجوارها بهدوء دون أن يبدو عليها اى تغير .

مد كفه ليربت على كفها بحنان : يمكنك البكاء صغيرتى .

التفتت له ليقول مؤكداً بصوت هامس : لا بأس لن أخبر أحد .

ومد ذراعه لترتمى بلا تردد على صدره تخفى شهقاتها من الجميع .

تلقاها برحابة محيطها بذراعيه ، مسد ظهرها متنهدا بألم ، قبل رأسها بحنان : لا بأس صغيرتى .اعلم ما تشعرين به .

أحاطت خصره بذراعيها تشده لها بقوة ، قربها وقربها حتى شعر بهدوئها . ربت على رأسها : هل تشعرين بتحسن ؟؟

تاوهت بألم : رأسى وديد . رأسى سينفجر .

عاد يقبل رأسها : لا بأس عليك صغيرتى المدللة .

رفعت عينيها المحتقنة تنظر له فلم تر إلا نظرته الحانية . تسلل ذراعه أسفل ساقيها لينهض حاملا لها لتتساءل بخفوت : اين نحن ذاهبان ؟

فتح باب غرفتها : إلى فراشك حتى يفحصك جابر ، أخشى أن ضغط الدم قد ارتفع من شدة انفعالك .

***

يخرج محمود وريم من المطبخ بنفس التوقيت لينظر لهما محمود مقطب جبينه : ماذا يخال نفسه فاعلا !!!

زفرت بضيق وهى تضع ما تحمله فوق المائدة قائلة : ألا ترى حالتها !!

تبعتهما للداخل ليضع ما بيده أيضا ويلحق بها .

***

وضعها وديد بالفراش لتتكور على نفسها فيدثرها بسرعة لحظة دخول ريم فيرفع عينيه لها : جابر بالشرفة هلا قمت بإستدعاءه رجاءا .

دارت على عقبيها وخرجت مسرعة فكادت ترتطم ب محمود . اسرعت تغلق الباب ناظرة له بغضب : إلى أين تخال نفسك ذاهبا ؟؟

رفع حاجبيه بدهشة لتزفر بضيق : حسنا سادخل وانت استدع جابر . إنه بالشرفة .

عادت للداخل وفى لحظات كان جابر يفحص ياسمين ، نظر ل وديد بضيق : الأمر لا يحتاج الفحص . ضربات قلبها الضعيفة وتعرق جبهتها الباردة دليل انخفاض ضغط الدم .

اتجه للخارج وهو يقول : دقائق واعود لا تدعاها تغفو .

***

بعد نصف ساعة غادر محمود فوالده يرفض ترك ابنة أخيه ويظنه لن يفعل فى وقت قريب .

شدد وديد على ريم بعدم ترك ياسمين ومهاتفته فى اى وقت إن لزم الأمر .طمأنه حسين ليغادر مكرها بقلب متوجس وجل .

صعد برفقة جابر الذى يحزنه عدم تناول العشاء الفاخر الذى أعدته ريم .

لم يتمكن من النوم رغم تسطحه بالفراش منذ ساعة كاملة ، يتقلب فوقه كأنه يتسطح فرشا من الجمر .نهض عنه اخيرا متوجها لخارج الغرفة ليجد جابر يتناول الطعام : ألا تفكر بشئ غير الطعام ؟

تساءل بضجر ليضحك جابر : التفكير بالطعام اسهل من التفكير بالنساء صديقى .

تنهد وديد وهو يلقى بجسده فوق الأريكة : القلق ينهش صدرى جابر .

ترك جابر الطعام ونظر له : امنحها الوقت وديد هى ليست بخير .. كلانا يعلم كيف كانت علاقتها بوالدها .

مسح وجهه بأسى : وهذا أكبر مخاوفى .. ألا تتمكن من تجاوز موته .

نهض جابر عن المائدة يلملم ما تبقى من فتات : لا تخف صديقى الحزن هو الشئ الوحيد الذي يولد كبيرا ويصغر مع الوقت .

هو يعلم هذا جيدا ، لقد مر به حين توفت والدته . اعتقد وقتها أنه لن يتمكن من المتابعة دونها ؛ لكنه تابع فى النهاية .

***

استيقظت فجرا تشعر بألم حاد بالرأس . اعتدلت جالسة لتجد نفسها بنفس الفستان . نظرت حولها لتجد ريم مستغرقة بالنوم .

عادت تستلقى وتتذكر ليلة أمس . كم كان صدره دافئا !!

تنهدت براحة . كم شعرت بالأمان الذى افتقدته منذ وفاة والدها . عادت الدموع لعينيها لتترأى لها صورة

والدها وتتذكر قوله لها دائما : كونى قوية لأجلى صغيرتى المدللة .

ابتسمت لذكرى والدها كما كانت تفعل دائما .

تسللت من الفراش بهدوء حتى لا تزعج صديقتها .

اتجهت للمرحاض لتنعم بحمام دافئ ساعدها كثيرا في تسكين اللالم الجسدى الذى تشعر به .

تسللت لغرفة والدها حيث يقيم عمها حاليا فقد سمعت النداء لصلاة الفجر . وجدت عمها يتهجد كما توقعت . وقفت صامتة حتى انتهى لينظر لها بقلق : هل انت بخير بنيتى ؟؟

حاولت أن تبتسم : بخير عمى لا تقلق . جئت أسألك إن أردت أن تؤمنى لصلاة الفجر.

اتسعت ابتسامة حسين : بل اتمنى صغيرتى

أشار لها ناحية الباب : هيا أنا أنتظر .

اسرعت لغرفتها فإرتدت إسدال الصلاة وعادت إليه فورا .

***

انتهيا من الصلاة ليربت على رأسها : بارك اللّه فيك حبيبتي . انت حقا ابنة ابيكى .

ظل حسين يحدثها عن ذكرياته ووالدها الراحل ، هى تعلم كل ما يقصه عليها ، لكن لا بأس من مشاركته ما اعتادت مشاركة والدها فيه ، هى لم تر منه إلا الطيبة وحسن الخلق منذ نعومة أظافرها ، قد يكون المرض اقعده فى السنوات الأخيرة لكنه سيظل دائما عمها الوحيد والحنون أيضا .

بعد ساعة من تسامرهما الدافئ طرق الباب لينظر حسين للساعة متعجبا : من يأتينا فى هذه الساعة ؟؟

هم بالنهوض ليبتسم ويعود جالسا : لقد علمت الطارق . يمكنك مقابلته .

نظرت له بتعجب ليحثها مبتسما بود : هيا بنيتى قبل أن يستيقظ الجيران .

توجهت للخارج رغم شعورها ببعض الدوار بعد . فتحت الباب لتقابلها ملامحه الجادة وعيونة القلقة .

بهت كأنه لم يتوقع رؤيتها : هل انت بخير ؟ لم غادرت الفراش ؟ هل تشعرين بتوعك ؟ اين ريم ؟ لم تركتك بمفردك ؟

ابتسمت !!!

بلى فعلت !!!

فرك عينيه بسبابته وابهامه ودقق النظر لها لتتسع بسمتها : سأجيب سؤال واحد .

تنهد وهو يستند إلى إطار الباب : هل انت بخير ؟

نظرت أرضا للحظة واحدة قبل أن ترفع وجهها وتنظر له : وكيف لا اكون ؟ انت بجانبى . وكذلك عمى . وكذلك ريم .

صمتت لحظة وتابعت : أنا محظوظة للغاية .

لقد ذكرته قبل عمها وصديقتها المقربة !!!

هل هذا يعنى أنه بالدرجة الأولى بحياتها !!

ربما تكون مشوشة بعد ...

حسنا لا بأس حتى إن لم يكن بالدرجة الأولى بحياتها حاليا فسيكون قريبا .

اختطف نظرة للداخل : ماذا تفعلين ؟

أمسكت كفه تجذبه للداخل ليتبعها دون اعتراض :

بعد الصلاة جلست اتسامر مع عمى .هيا شاركنا .

توجهت فورا لغرفة والدها ليبتسم حسين فور رؤية وديد : حسنا سأتغاضى عن الأمر اليوم فقط .

رفع سبابته محذرا ليبتسم وديد بحرج وهو يجلس أمامه : حسنا عماه لن أعيدها . اعدك .

بدلت نظراتها بينهما بتعجب ولم يتكفل أحدهما بتوضيح الأمر لها ، هزت كتفيها بلا مبالاة هى لم تعتد التدخل فيما لا يعنيها .

ابتسمت ببساطة وهى تعود للحديث عن والدها ، انسجم ثلاثتهم فى الحديث لمدة ساعة كاملة .

بدأ الارهاق يبدو جليا على ملامحها ليقول وديد بحنان : صغيرتى انت متعبة . لتحصلى على قسط وافر من النوم

ليقول حسين فورا : لنصلى الضحى جميعا ثم نرتاح .

## السادس

فضلت ريم تركها نائمة لتحصل على أكبر قسط من الراحة . فهى تعانى الأرق منذ وفاة والدها ونومها الهانئ هذا اسعد صديقتها كثيرا .

تململت ياسمين لرنين هاتفها المزعج ، حاولت التجاهل لكنه لم يتوقف ، تأففت وهى تمد كفها لتلتقطه وتجيب بصوت ناعس : من المتحدث ؟

لحظة صمت تبعتها زفرة : حبيبتي حين يدق الهاتف فى المرة المقبلة وانت نائمة فلا تجيبيه .

قطبت جبينها متسائلة : وديد ! كيف حصلت على الرقم ؟

***

استيقظ وصلى قبل أن يقرر مهاتفتها والاطمئنان عليها ، يكفيه حرجا انصياعه لقلقه ومخاوفه صباحا .

امسك الهاتف وطلب رقمها عدة مرات ، كلما انتهى الرنين ولم تجب زاد توتره وراح يتحرك بردهة منزله بتوتر .

اجابته اخيرا بصوت ناعس زاده دلالها الفطرى هلاكا . زفر بقوة وقد تبددت مخاوفه وحل محلها حمم قاتلة تجتاح قلبه لتذيبه شوقا .

حصل على رقم هاتفها من والدها الراحل فى آخر أيامه تخوفا من حاجته للاتصال بها من المشفى ، لكنه لن يخبرها بذلك حتى لا يجدد أحزانها .

تنهد مغمضا عينيه : ياسمين لا تزيدينى هلاكا وانهى الاتصال .

وصلته ضحكتها الناعمة وصوتها الرقيق : ولم لا تنهيه انت ؟؟

***

اعتدلت جالسة وهى تتوقع أن ينهى الاتصال ليصلها صوته : يااااالله . ترى إن كنت أستطيع لفعلت .هيا أنهى الإتصال .

دق قلبها بقوة لصوته الراجى وهمست بلا وعى : لكنى لا اريد .

***

حسنا الجنون هو أقل ما يمكن أن يصف به حال قلبه هذه اللحظة ، هى لا تريد إنهاء المكالمة !!!

ارتمى فوق المقعد ليأتيه صوتها الراجى : أنا بحاجتك وديد .

انتفض ملقيا بكل ثورته الداخلية جانبا وهو بتساءل بلهفة : ماذا هناك صغيرتى ؟ هل انت بخير ؟؟

***

تنهدت بحزن : لست بخير وديد .. هناك فراغ مؤلم بصدرى .

وضعت كفها فوق قلبها لتقول : أنا أتألم وديد . رغما عني أتألم .

ليصلها صوته الواثق القوى : سأنزعه عنك صغيرتى .. اعدك ألا ادع الألم يصل لك مجددا . انت بحماى الأن فلا تخافى .

هزت رأسها كأنه يراها ، ضمت الهاتف لصدرها وعادت تغلق عينيها بوهن .

انقطع صوتها لكنها لم تنه الإتصال ،ظل دقائق ينتظر ليتأكد أنها لا تبكى .الهدوء الذى وصله عبر الاثير أعلمه بعودتها للنوم .

حسنا عليها أن ترتاح ، تنهد براحة وانهى الإتصال.

***

مرت عدة أيام حاولت فيها ياسمين متابعة حياتها ، عادت ريم لمنزلها واستقرت الأوضاع إلى حد ما.

عادت ذات يوم من الجامعة تبحث عن عمها . وجدته ممددا بالفراش فلم ترد ازعاجه .

توجهت للمطبخ تعد طعاما للغداء . أعدت المعكرونة كما علمها وديد .أفرغت محتويات الاناء فى المصفاة لتبتسم وهى تتذكر تحركاته الخفيفة فى المطبخ .

تركت كل شئ وقررت مهاتفته أولا . بحثت عن هاتفها لتطلب رقمه وتنتظر الإجابة . ولم يطل انتظارها .

سرعان ما أتاها صوته الدافئ : مرحبا صغيرتى المدللة .

ابتسمت استمتاعا بإسمها الذى لم تحرم منه : مرحبا جدارى البشرى

أتاها صوته المعترض فورا : مااااذاااا ؟؟؟ جدار بشرى !!!

ضحكت بدلالها المعهود : بلى ألست ذلك الجدار البشرى الذى صدمنى ولوث فستانى بالفول.

***

كان عائدا للمنزل حين دق هاتفه معلنا مكالمة منها . اسرع يجيب بلهفته التى لا تخبت مطلقا . دلالها هذا سيفقده صوابه يوما ما.

هو سعيد لمتابعتها حياتها وعليه دعمها لتتقدم للأمام.

قطب جبينه رافضا ذلك الاسم الذي دعته به ؛ جدار بشرى !! اهكذا تراه !!!

سرعان ما زال الغضب حين علم أنها تربط هذا الاسم بأول لقاء لهما ، كما أنها لم تنس هذا اللقاء رغم سخافته .

عاد لهدوءه وهو يتقدم ناحية البناية : حسنا صغيرتى جدارك البشرى هذا وصل للمنزل وسينهار جوعا .

***

تهللت اساريرها : لم لا تمر علينا اعددت المعكرونة ستكون جاهزة في غضون دقائق .أنا انتظرك .

لم تمنحه فرصة للرد وانهت المكالمة لتتجه للمطبخ بحماس .اخرجت من البراد الصوص الذى تحتفظ به الأوقات الضيقة واسرعت تعد المعكرونة .

طرق الباب لتترك كل شئ وتتجه للخارج . فتحته لتطالع هيئته الجادة وهو يستند لإطار الباب .

ظل مكانه للحظات عينيه تجوب ملامحها الرقيقة لتتوقف كل مرة عند ابتسامتها الرقيقة .

قطبت جبينها : هل ستظل تتطلع إلى كثيرا ؟

لم يبد تأثره وكأنه لم يسمعها . تحدث اخيرا : اشتقتك بجنووووون.

عادت ابتسامتها تشرق وهى تمسك كفه لتجذبه للداخل مباشرة نحو المطبخ .

اسرعت للموقد تقلب محتويات الإناء وهى تقول : اجلس وديد سأنتهى حالا .

اقترب منها ليقف خلفها مباشرة ، يسعده اريحيتها فى التعامل معه منذ عقد قرانهما .

زاد قربا ليستند بذراعيه لحافة الموقد محيطا بها ، التفتت له تبتسم ولم تعارض قربه هذا ، اقترب برأسه مستمتعا بهذا القرب : هل اتذوق ؟؟

همس قرب أذنها لتدفعه بكتفها للخلف بمودة لتلتف بكامل جسدها رافعة الملعقة لفمه : لا تجاملنى .

قالتها بتحذير ليبتسم ويتذوق المعكرونة دون أن يحيد بعينيه عنها .قطب جبينه وظهر الامتعاض على ملامح وجهه وهو يقول : مالح .مالح للغاية

اسرع للحوض يضع الماء بفمه : ما هذا صغيرتى ؟ هل وضعت علبة الملح كاملة في هذا الصوص .

ظهرت خيبة الأمل على ملامحها : سيئ لهذه الدرجة؟؟

شعر بحزنها ليقترب ويطفئ الموقد . أحاط كتفها بذراعه لتصحبه للخارج : أخبرتك حين حضرنا الصوص أنه جاهز . لم زدت الملح .

لم تجب ليضحك : حسنا لا بأس لم يحدث مايحزنك هكذا

رفعت عينيها تنظر له : لا فائدة . لن اتعلم شيئا .

جلسا فوق الأريكة ليقول : بل ستتعلمين كل شئ ، مع مرور الوقت

تلفت حوله متسائلا ومتجاهلا ما حدث : اين العم حسين ؟

لم تختف معالم الحزن عن وجهها : نائم . لابد أنه جائع أيضا

نهض بحماس : ايقظيه إذا وسأطلب الطعام .

نهضت بتثاقل ليمسك ذراعها : هيا صغيرتى .لا احب ان اراك حزينة .

نظرت له ولم تجب ليزيدها قربا : حقا انا لا اهتم إن لم يمكنك الطبخ فلا بأس سنتدبر أمرنا .

ترقرت عينيها بدموع تألم لها قلبه : سأكون عبئا عليك كما كنت عبئا ثقيلا على أبى .

دموعها ؛ اقسى ما يمكنه تحمله ، تلك القطرات الماسية تخدش جدران قلبه وتمزق أوصال ضلوعه .

قربها ليضمها بدفء: لست عبئا ولن تكونى مطلقا . لا تسمعينى هذا الهراء مرة أخرى .

تنهدت ليزداد اشتعال صدره ، مسد على ظهرها بحنان : هيا صغيرتى دموعك المختنقة تزهق انفاسى .

أبعدها برفق ليحيط وجهها بكفيه : اريد ان ارى اشراقتك صغيرتى . لا تحرمينى منها .

شبح ابتسامة كان كافيا له ، فقد محى معالم الكآبة عن ملامحها وهذا يكفيه مؤقتا .

ابتعدت بهدوء ليفلتها دون مقاومة فتقول : سأتفقد عمى

اخرج هاتفه وعينيه متعلقتان بها : وانا سأطلب الطعام .

غابت عنه داخل الغرفة لتتعلق عينيه بالباب . بالكاد طلب المطعم لكنه لم يملك وقتا لطلب الطعام فقد هرعت خارجا خلال دقيقة واحدة بملامح فزعة شاحبة : ادركنى وديد . عمى لا يستيقظ .

انتفض مهرولا للغرفة ليجد حسين متسطحا فوق الفراش ، حاول أن يفحص نبضه وتنفسه ليجده ضعيفا بشكل مرعب .

اخرج هاتفه مرة أخرى وهاتف جابر الذى سرعان ما أجاب ليصيح وديد : ادركنى جابر يبدو أن العم حسين قد أصابته غيبوبة السكرى مرة أخرى .

لحظات وهز رأسه بفزع : حسنا أنا أنتظر .

ألقى الهاتف جانبا لينظر لها ، كانت متمسكة بالباب وقد حاك شحوبها شحوب الاموات .

هرع لها : ياسمين ..تنفسى صغيرتى .انت معى ، انت بخير .

لم تستجب ليمسك ذراعيها ويهزها بقوة : ياسمين افيقى .. تنفسى صغيرتى

كانت اخر كلماته يغلب الرجاء حدتها أغمضت عينيها ورأسها يطيح للخلف لتسقط بين ذراعيه .

زاد فزعه وهو يبدل نظراته بينها وبين حسين ليحملها للاريكة . اسرع ليحضر عطرا ويحاول افاقتها .

مرت دقيقتين تقريبا انقطعت خلالهما أنفاسه حتى رأها تستجيب وتفتح عينيها بضعف ليتشبث بها فورا يزرعها بين ذراعيه ويحيطها بقوة مفرطة.

شد ذراعيه حولها : آآه صغيرتى كدت أموت .

أبعدها بلهفة متفحصا ملامحها : لا تفزعينى هكذا مرة أخرى . انت قوية ويجب أن تكونى كذلك مهما حدث .

لم يبد عليها الاستجابة لكلماته ليعيدها لصدره مرة أخرى حتى هدأ فزعه قليلا .

أبعدها بهدوء لتنظر لملامحه وترى الرعب بعينيه ، عليها أن تحافظ على هذا الحب وتدافع عنه بحياتها . وديد هو فرصتها للحياة .

ظلت تتطلع له بصمت ليقول برجاء : كيف تشعرين صغيرتى ؟ قولى شيئا .

تحولت عينيها لعمها تتساءل : هل سيكون بخير ؟

جذبها لتقف وهو يسير معها لخارج الغرفة : بلى سيكون بخير .بدلى ملابسك سيارة الإسعاف فى الطريق .

***

بعد ساعة كان الجميع بالمشفى وقد انضم لهم محمود . تجلس ياسمين على مقاعد الانتظار بينما يقف محمود و وديد جانبا .

دقائق وخرج جابر ليقبلا عليه بينما هى تراقب فقط وهو يقول : سيكون بخير .يجب أن تراقبوا طعامه ودواءه بشكل أفضل .

غادر جابر بعد قليل لينظر لها محمود ثم ل وديد متسائلا : ما بها ؟ تبدو شاحبة للغاية .

تنهد وديد بحزن : فقدت الوعى حين اكتشفنا حالة العم . حمدا للّه انى كنت معها . إقامته معها مجازفة فعلية .

محمود : سأحاول إقناعه بالعودة للمنزل . أخشى رفضه القاطع .

صمتا ليقول محمود : عليك تعجيل الزفاف . هذا الحل الوحيد ليطمئن عليها . أنا أقدر خوفه . ياسمين وحيدة ورقيقة للغاية .

نظر له وديد بحدة ليقول : ليس وقتا لغيرتك هذه . لاتنكر جمالها ولا رقتها . هى مطمع بالإضافة لعدم قدرتها أن تدافع عن نفسها .أبى له كل الحق ملازمتها .

مسح وجهه بكفه بغضب ، محمود محق . كم هى هشة ضعيفة !!

وكم هى فاتنة مدللة !!!

عاد خطوات للخلف بالتزامن مع اندفاع محمد تجاههم . لم يملك أى منهم الوقت للتحرك حتى.. وكان قد وصل لها ليمسك ذراعها بغضب صائحا : كم انت عديمة الجدوى !!! ألا يمكنك مراقبته حتى ليسقط فى الغيبوبة دون أن تدرى بذلك .

وصل إليه وديد لينزع يده عنها ويدفعه للخلف حتى كاد أن يسقط : لا تمسها ولو بكلمة وإلا لن يعجبك تصرفى .

نظر لهما بإستخفاف ساخر : أكنتما تتبادلان الأشواق وغفلتما عن الرجل الذي ترك بيته وأولاده لحماية هذه ...

وسكت مرغما مع صفعة وديد التى أطاحت وجهه للجهة الأخرى وقبل أن يملك فرصة للرد كانت لكمته تعيده خطوات للخلف .

وقف محمود بينهما : يكفى وديد

وديد : ألم تسمع ما تشدق به اخيك من هراء !؟

اسرعت ياسمين ل وديد تمسك ذراعه وتعيده للخلف ليرضخ لها دون مقاومة وما إن عاد خطوة حتى قال محمد : هذا ما كنت أتوقعه . أثبتما صدق حديثى للتو .

لتكون صفعته هذه المرة من أخيه الأكبر : كفاك جنونا .وأمسك لسانك اللعين هذا .

نظر محمد ل محمود الذى يوليهما ظهره ليخفض عينيه فورا وهنا استشاط وديد غضبا فتصرفات محمد تلك

أوحت له أنه أرادها لنفسه وصمته وانكسار عينيه الأن اثبتا ذلك .

ثارت أنفاسه وهو ينظر له بحدة ليكون رد فعله جنونا لم يتوقعه أحد حيث جذبها لصدره بغتة محيطا جسدها بذراعيه بتملك وحماية . رفع محمد عينيه ليقابله الجحيم بعينى وديد .

## السابع

سيطر محمود على أخيه الثائر بإعجوبة وهو يدفعه ليبتعد عنهما بينما تململت بين ذراعيه معترضة على تلك الضمة المفاجئة لتجده رافضا تحريرها فتهمس بحرج : وديد ماذا نفعل ؟؟ ابتعد .نحن بالرواق !!

لم يبتعد حتى تأكد من مغادرة محمد الذى تشتعل عينيه غضبا وحقدا . ما إن شعرت بذراعيه يرتخيان حتى دفعته عنها مستنكرة : وديد هل فقدت عقلك ؟

نظر لها بحدة : انت لى صغيرتى لن ينتزعك منى أحد مهما كان .

قطبت جبينها بعدم فهم : ومن قد ينزعنى منك ؟؟

نظر لها بحيرة . يبدو أنها لا تعلم شيئا عما يتحدث عنه ، وهذا يكفيه .هى له ولا يشاركه احد فى مشاعرها .

تنهدت بحيرة وهى تراقب صمته لتقترب منه بهدوء : ماذا حدث لغضبك هذا ؟

نفض رأسه : لست غاضبا . توترت بعض الشئ .

رفعت اصبعها تشير له محذرة : اياك ان تعيدها .

اقترب فأمسك كفها الذى ترفعه أمامه ليقبله برقة : اريد ان اتحدث معك بأمر هام .لكن لنطمئن على العم اولا .

لم تعترض واتجهت معه لغرفة عمها الذى بدأ يستعيد وعيه ، دخلا من الباب بهدوء لتتساءل بصوت هامس : هل أفاق؟؟

هز رأسه هامسا : يبدو أنه غفا . حسنا لنغادر .

اتجها للباب ليوقفهما صوت حسين : بنيتى ...

التفتت له متهللة الوجه : عمى !! انت بخير ؟

هز رأسه لتقترب من فراشه يتبعها وديد .اخرج هاتفه ليخبر محمود فهو لا يريد مواجهة محمد مرة أخرى فقد يفقد سيطرته هذه المرة.

***

ظل محمود يدفع أخيه حتى غابا عن ناظريهما ليقول بحدة : هل فقدت عقلك؟؟ كدت تفضح ابنة عمك .

محمد بغضب : كيف يضمها هكذا ؟؟

ضربه محمود بصدره ضربة اعادته للخلف خطوة : إنها زوجته أيها الاحمق .

رفع كفه يتحسس جبينه بتوتر واضح : كان ينبغى أن تكون زوجتى أنا .أنا ..

قاطعه محمود : يكفى . إياك أن تذكر ابنة عمك مرة أخرى . لم تعد لك فرصة معها محمد فتعقل . لقد تزوجت من ارتضته لنفسها .

ارتمى محمد فوق مقعد الانتظار : كان ينبغى أن أخبرها عن مشاعرى . ليتنى ما استمعت لأبى وطلبت الزواج منها

عاد له الغضب لينهض عن المقعد مرة أخرى : ها هى قد تزوجت قبل إنهاء دراستها . لم يمنعها أبى أن تتزوج وهو يعلم انى اريدها

تنهد محمود : محمد لننه هذا الموضوع هنا والان . ياسمين الأن هى ابنة عمك فقط ومتزوجة من رجل تحبه فلا تحاول إفساد حياتها لانى من سيوقفك .

نظر له بخيبة أمل . لا أحد يشعر به . لا احد يرى احتراقه لأجلها. كيف بعد هذا الحب تكون لغيره ؟؟ كيف يحرم من اهم امانيه ؟؟ كيف يحرم منها ؟؟

دق هاتف محمود ليجيبه فيخبره وديد أن والده بخير ويطلب منه التوجه لغرفته . ينظر لأخيه محذرا : سأذهب وحدى ولا تحاول اللحاق بى . ومن الأفضل ألا تجتمع بإبنة عمك قدر الاستطاعة .

وغادر محمود ليتركه يحترق ، يتعذب ، يذوب ألما .

***

يرى حسين أن ثمة تغير في تصرفات وديد ، يبدو عدائيا إلى حد ما متشبث ب ياسمين بشكل غريب .

مر اليوم ولم يظهر محمد مرة أخرى رغم التواجد الدائم ل محمود وشقيقه الأصغر احمد .

يبدو على ياسمين الإرهاق الشديد ، نظر لها حسين بشفقة ثم نظر ل وديد : أعدها للمنزل بنى . إنها مجهدة

اتسعت عينيها بفزع واضح : ماذا !! لا عمى لن أتركك.

ابتسم حسين بضعف : أنا بخير بنيتى وسأعود للمنزل فى الصباح .لكن أولا رافقى احمد وعرفيه ل جابر .

تشعر بالخوف وتخشى أن تفصح عنه . إنها ترتعب من تواجدها وحدها بالمنزل . ماذا تفعل ؟؟؟

اتطلب ريم لتبقى معها ؟؟؟

تخشى أن يرفض والدها ذلك . أفاقت من شرودها على صوت محمود : ياسمين فيما شردت؟

هزت رأسها نفيا : لا شئ .هيا بنا احمد .

نهض احمد لينهض وديد تباعا مظهرا رفضه لصحبتها له ، اسرع حسين يوقفه : وديد هلا رفعت الفراش قليلا .

اقترب وديد وقلبه يتوجس خيفة ويشعر أن حسين يفصله عن ياسمين ، بدأ يضبط وضعية الفراش ليهمس حسين : دعها تذهب اريدك فى أمر ما .

نظر له وديد بتردد ، إنه يثق به .حسنا يمكنه أن يدعها تصحب ابن عمها ذاك ، لا يبدو كأخيه الاخرق

نظر لها وهى كانت بانتظاره أيضا : حسنا صغيرتى رافقى احمد وسأوافيك بعد قليل .

هزت كتفيها باستسلام وغادرت يتبعها احمد بينما نظر حسين ل وديد ومحمود : حسنا اخبرانى ما حدث دون إنقاص؟

تردد محمود لكن وديد تبع غضبه : إنه ابنك . ذاك الاخرق الذى يتطلع لزوجتى بشكل مقزز مثله تماما .

نظر حسين ل محمود الذى نكس رأسه فعاد ل وديد : أراد محمد الزواج من ابنة عمه وتحدث إلى بهذا الشأن لكنى تهربت من طلبها له بحجة استكمال دراستها .

هدأ وديد إلى حد ما وتساءل : ولم !!؟

حسين بلا تردد : هو لا يصلح لها .

زاد هدوء وديد مصاحبا لتعجبه وحسين يتابع : ياسمين ابنة اخى الوحيد ، وهى وحيدة كذلك . دللها ابيها وهى حقا يليق بها الدلال .

ابتسم وديد لجملة حسين التى يرددها بقلبه دائما بينما تابع حسين : محمد ولدى انفعالى أخرق . وهى تحتاج رجل هادئ صبور . محمد متحكم عنيف وهى تحتاج رجل متفاهم حنون . ما كنت أضحى بها وإن كان لولدى .هو منبهر بدلالها ولن يتحمله مستقبلا .

صمت لحظة واحدة وتابع بحزن : سيتجاوزها قريبا .
اعلم أنه سيفعل لكن إن جرحها .. فلن تتجاوز الأمر مطلقا .

تنهد وديد براحة اخيرا يمكنه التقاط أنفاسه ، والده لا يراه كفء لها وهذا يكفى لابعاده عنها .

جلس بطرف الفراش كما اقترب محمود ليجلس بالطرف الاخر ويقول : ابى لقد فقدت ياسمين وعيها حين اكتشفت انك سقطت بغيبوبة . وجودك معها غير آمن .

نظر له حسين بغضب وكاد أن ينهره ليسرع وديد قائلا : عماه محمود محق .ياسمين تعجز تماما عن مواجهة الصدمات التى تصيب ذويها .هى ليست ضعيفة ، إنها رقيقة القلب .

تأفف محمود فها هو يعود للتغزل فيها أمام أبيه ، اسرع يقاطعه : لذا أبى أرى من الأفضل الإسراع فى إتمام الزواج لتكون برعاية وديد وتعود انت إلى المنزل حيث يمكننا رعايتك .

نظر حسين ل وديد الذى تهرب بعينيه خجلا ، صمت لحظات ارتعد لها قلب وديد .يخشى أن يرفض ، يقسم أن يحسن رعايتها وحمايتها ، سيكون لها أبا فقدته واخا لم تحظ به . سيكون صديقا متفهما وزوجا حانيا وعاشقا يخفيها بعشقه عن الجميع .

تحدث حسين اخيرا متسائلا : هل تحدثت إليها؟؟

نظر له وديد بلهفة وهز رأسه نفيا ليقول : لن أجبرها على الزفاف قبل أن تستعد له . سأسألها فى الغد وعليك مناقشة الأمر معها قبل ذلك دون أن تضغط عليها . وقرارها هى ما سأنفذه راضيا .

ابتسم وديد براحة : بالطبع عماه لن اضغط عليها . يمكنها تحديد الموعد هذا قرارها .

***

بعد ساعة كانا يدخلان البناية وهى حتى هذه اللحظة لا تعرف كيف ستبيت ليلتها وحيدة بالمنزل . لن تخبر وديد بخوفها هذا.. يكفى أنه يراها مدللة .

لاحظ وديد شرودها ويجد أن الوقت غير مناسب للتحدث بشأن الزفاف . منحه عمها ليلة واحدة ليشرح لها الأمر .وها هو على وشك فقدان فرصته للتحدث معها .

خرجا من المصعد بإتجاه شقتها وقف بالباب لتخرج المفتاح وتنظر له بتوتر : ليلة سعيدة وديد .

لا يبدو أنه ينتوى المغادرة وهى لا تريده أن يفعل .

حسنا لا تبدو مستعدة للتحدث حاليا . تبدو مرهقة للغاية . تنهد بضيق ليمد ذراعه ويقرب رأسها ليقبل جبينها بحنان : ليلة سعيدة لك صغيرتى .هاتفينى إن احتجت شيئا .

هزت رأسها ليقول : لن ارحل قبل دخولك .

تقدمت للداخل بخطوات مترددة أشعلت إضاءة الردهة وابتسمت له قبل أن تغلق الباب . ظل مكانه لدقائق قبل أن يدور على عقبيه ويغادر .

***

دخلت من الباب تتلفت حولها وتدور عينيها بكل مكان . كلما وصلت بتقدمها البائس لمقبس كهرباء أشعلت الإضاءة حتى أصبحت الشقة قطعة من نور .دخلت لغرفتها بتردد إضاءة المنزل تعمل بأعلى كفاءة ورغم ذلك تشعر بالخوف . بدلت ملابسها لأخرى أكثر راحة وتوجهت فورا للفراش .استلقت وسحبت الغطاء حتى رأسها مقررة مواجهة الخوف والنوم وحيدة بالمنزل .

دقائق لم تطل حتى سمعت خربشات مصدرها الشرفة . حاولت إقناع نفسها أنها تتوهم . لكن الخربشات لا تتوقف .

بدأت تستسلم للخوف ،جلست وضمت ساقيها لصدرها وعينيها متعلقة بباب الشرفة . تريد ان تصرخ فلا تجد صوتا وتريد أن تهرب وعاجزة عن الحركة.

زادت الخربشات حدة لتنتفض وتمسك هاتفها لتطلب النجدة .

***

دخل وكان جابر يتابع التلفاز ويتناول بنهم عدة شطائر منزلية الصنع . جلس جواره ليمد يده بإحداها فيرفضها وديد بهزة من رأسه .

تفحصه جابر : ما بك وديد ؟ واين كنت ؟ غادرنا المشفى مما يزيد عن ساعة كاملة .

تنهد وديد : كنت أحاول التحدث معها بشأن تحديد الزفاف ولم استطع .

اتسعت عينا جابر : ولم !!؟

وديد : لا أدرى .

ضحك جابر : يالك من احمق . اضعت فرصتك . هيا انزل وتحدث إليها .

وديد : أجننت جابر ؟؟ كيف انزل لشقتها وهى بمفردها !!

ابتسم جابر بخبث : يمكننى مرافقتك

نظر له بغضب لينفجر ضاحكا : انت تغار !!! هههه هيا يا رجل .

لم تتغير نظراته الغاضبة لتعلو ضحكات جابر الذى صمت بصعوبة تحت نظرات وديد الغاضبة .

بدل ملابسه لأخرى بيتية وعاد لمتابعة التلفاز بصحبة جابر .

فترة لم تطل ودق هاتفه لينظر له بضجر وسرعان ما اعتدل بحماس ليجيب فورا : مرحبا صغيرتى .

هب واقفا يلتقط مفاتيحه ويهرول للخارج لينظر له جابر مبتسما ويسترخى أمام التلفاز .

***

لك تفكر مرتين وطلبت رقمه فورا ، سرعان ما أتاها صوته لتقول بفزع وصوت مرتعش : وديد لص بالشرفة . أنا خائفة .

أتاها صوته القلق : غادرى الغرفة دون جلبة أنا فى طريقى إليك . لا تفزعى ولا تنهى الاتصال .

نهضت عن الفراش وقلبها ينتفض خوفا كلما علا صوت الخربشات . اخيرا وصلت للباب مع همسة وديد : أنا بالباب صغيرتى . هيا افتحيه لا تخافى .

هرولت لباب الشقة وفتحته لترتمى بين ذراعيه منتفضة : هيا نهرب وديد .هيا نهرب .

احاطها بذراعيه مطمئنا : لا تخافى أنا معك .

تقدم للداخل لتتخلى عن موقعها بين ذراعيه وتدور لتتعلق بظهره وهو يتجه لغرفتها دون تردد .

وقف بمنتصف الغرفة ليبتسم فور سماعه الخربشات مشيرا لباب الشرفة : اتقصدين هذا الصوت ؟

اومأت بخوف وقالت : يحاول فتح الباب .هيا نهرب .

اتسعت ابتسامته وهو يتجه للشرفة بسرعة لتشهق وتجذبه للخلف فيقول : إنه فأر على الأرجح . دعينى أرى ما الذى تجرأ واخاف صغيرتى .

شعرت بالخجل وهى تتخلى عن ملابسه بتردد اتجه للشرفة لتركض هى نحو الفراش وتعتليه بفزع وترقب . فتح باب الشرفة ليفر الفأر لكنه كان اسرع فأمسك ذيله وضحك بقوة .

رفعه أمامها يترنح فى الهواء وهو يقول : إنه فأر ضخم .مخيف بالفعل .

عقدت ساعديها بغضب ممزوج بالخجل ثم رفعت إصبعها لتقول بتحذير : اياك ان تسخر منى .

تقدم للداخل لتصرخ : لا .أبعده لا تدخله هنا .

امسك وديد الفأر بإحكام : سأقتله لا تخافى .

شهقت بفزع : مااااذا ؟

اسرعت نحوه برجاء : لا وديد .ارجوك لا تقتله .أطلقه فحسب .ارجوك .

رفع حاجبيه ينظر لها بدهشة : حسنا صغيرتى سأطلقه كما تشائين .

عاد للشرفة ليطلق الفأر ويحكم إغلاقها . التف ينظر لها بذلك الرداء المخصص للنوم والذى يجعلها تبدو مهلكة .

حمحم بحرج : لما لا تضعى مئزرا وتتبعينى خارجا . اريد ان اتحدث إليك بأمر هام .

اومأت بخجل ليغادر الغرفة فورا .

دقائق وتبعته ، كان يجلس على الأريكة ذاتها لتجلس جواره بلا تردد مرحبة ببعض الصحبة التى قد تبدد هذه الليلة الكئيبة .

تساءلت بود : ما الأمر وديد ؟

تاه في محياها للحظات قبل أن يبدأ حديثه . أخبرها عن رغبته لإتمام الزفاف دون أن يتطرق إلى عدم قدرتها رعاية عمها . أخبرها فقط أن عمها قد يخجل من عودته لمنزله نظرا لوحدتها .

أنهى حديثه وقد ضمت ساقيها لصدرها وارخت رأسها لظهر الأريكة ولا يبدو عليها الرفض . بل يبدو عليها الحزن الشديد .

مد ذراعه يربت فوق شعرها الذى لم تهتم بتغطيته ليقول : صغيرتى .لا افرض عليك إتمام الزفاف . أنا فقط اخاف عليك من الوحدة . لا يمكننى النوم وانا اعلم انك وحيدة بمنزلك .

نظرت له بحزن : أنا أيضا اخاف وديد .

علت أنفاسها وبدأت دموعها تتحرر من محابسها وهى تقول : لكن .. أبى .. انا!!! ...

رأى تخبطها ليسرع فيجذبها نحوه بندم . هى ليست مستعدة لهذه الخطوة بعد ، احاطها بذراعيه : هششششش . كفاك صغيرتى . لا تبك .

اجهشت بالبكاء وهى تقول كلمات متقطعة : وديد ..أنا ..خائفة .. اخاف ..كل شئ .. لا. لا .تتركنى .

قبل رأسها وظل يربت عليها بحنو نحو نصف ساعة حتى انهكها البكاء لكن لم تنقطع شهقاتها . أنفاسها الساخنة تلهب صدره والندم بحجم جموحه .

أبعدها برفق بعد أن هدأت ليقول بحنان : هيا صغيرتى اذهبى للنوم وانا سأبقى هنا .لا تخافى .

رفعت عينيها المجهدتين لتتساءل : لن تغادر !!!

ابتسم قائلا : لن افعل .

سارت للداخل بخطوات مجهدة ، لم تفكر أن تغلق بابها بل خلعت مئزرها لتستلقى فقد كان يومها طويلا مرهقا . مرت دقائق تشعر بإشتعال عينيها من كثرة البكاء .وهذا الصداع اللعين يضرب رأسها بعنف .تقلبت فى

فراشها عدة مرات قبل أن يغلبها الارهاق اخيرا نظرت لباب الغرفة حيث هو خارجا لتشعر بالأمان وتستسلم للنوم .

***

استلقى فوق الأريكة ووضع ذراعه فوق عينيه .عاد يجلس ؛ ما كل هذه الإضاءة ؟؟ نهض يخفف إضاءة المنزل لأقل ما يمكن وعاد للاريكة تمدد نحو ساعة قبل أن ينهض متجها لغرفتها وجدها قد غرقت بالنوم ليبتسم براحة .لقد شعرت بالأمان لوجوده وهذا يكفى مؤقتا . عاد للاريكة ليسلم وعيه لعالم الأحلام وقد بلغ التعب منه مبلغا عظيما .سينتظر قرارها حين تستعد لذلك

## الثامن

استيقظ لصلاة الفجر رغم نومته الغير مريحة ، أعد فطورا بسيطا فهى لم تأكل بالأمس . اخيرا توجه لغرفتها لإيقاظها قبل أن يصعد لشقته .

كانت غائبة عن الدنيا تماما وقد تناثر شعرها بشكل مضحك ، مظهرها طفولى ومضحك . اقترب من الفراش ليهزها برفق : ياسمين . هيا صغيرتى كفاك نوما .

همهمت دون أن تفتح عينيها ليعود ويهزها برفق . فتحت عينيها لتبتسم فور رؤيته . اعتدلت جالسة تمد ذراعيها بتكاسل : صباح الخير .

لم يجب وقد فقدت حواسه استجابتها لرؤيتها بتلك الهيئة ، تطلع بها لتنتبه لصمته وتتساءل : ما بك وديد ؟

لم يبد عليه أنه استمع لها فحركت ذراعيها أمام وجهه : وديييد

انتفض منتبها بارتباك واضح : ماذا !!

ضحكت ليهرول خارجا : هيا اعددت الفطور .صلى ثم انضمى إلى.

نهضت بتكاسل تجر قدميها نحو المرحاض .

بعد نصف ساعة انضمت له بوجه مشرق وهيئة مرتبة رقيقة . تناولا الطعام بصمت فقط حين تلاحظ تطلعه لها تبتسم فيبادلها بارتباك .

كانت جائعة للغاية ورغم ذلك لا تشعر برغبة لتناول الطعام . فهناك ما يشغل تفكيرها .

اخيرا رفعت عينيها تنظر إليه: وديد ايمكننا أن نعيش هنا بعد الزواج ؟ لا اريد مبارحة المنزل .

رفع عينيه لها وقد فشل تماما فى السيطرة على انفعالاته ، هى تفكر جديا في إتمام الزواج ، فاضت الراحة بقلبه المتعطش لترويه حد الاكتفاء وهو يطالع خجلها ونظراتها المسترقة فى انتظار إجابته .

اخيرا تمالك نفسه بعد دقائق ليحمحم باحثا عن صوته : لا ارى بأس من هذا صغيرتى . لا اهتم حقا من ينتقل لمنزل الاخر . اريد فقط ان اكون معك .

ابتسمت بسعادة ليقول : لكن ..

تعلقت عينيها به ليتابع : عمك له نصيب في الشقة فهو يشاركك الإرث حسب الشريعة . ولا املك ما يكفى لادفع له نصيبه فيها .

لم يبد عليها سوى السعادة : يمكننى أن أدفع له . املك وديعة بإسمى . سنكون بخير .

اتسعت ابتسامته وعاد يتساءل : حسنا أرى أنك مستعدة لإتمام الزفاف إذا!!

اخفضت عينيها خجلا : بلى . مستعدة

زفر براحة وكأنه كان منقطع الأنفاس . طلب منها التحدث إلى عمها اولا ثم عليهما إنهاء أمر الشقة معه ليقوما بتحديد موعد مناسب لها .

***

دخل لشقته تزين وجهه ابتسامة هادئة ليقابله جابر الذى يتناول إفطاره بشراهة . كتم ضحكته وهو ينظر له بخبث : يبدو أن أحدهم قضى ليلة سعيدة.

جلس وديد على مقعد الطاولة : لقد وافقت ياسمين على إتمام الزواج.

قالها بحماس لتتسع ابتسامة جابر : وكيف لا تفعل ؟ ألم تقضى ليلتك معها .

تحولت ابتسامة وديد لنظرة غاضبة وهو ينهر جابر : هل جننت ؟ ما الهراء الذى تتفوه به .

تلعثم جابر : عذرا وديد لا اقصد التدخل بشئونك . لكنى اعتقدت أنكما ...

قاطعه وديد بحزم : يكفى ...

هب مبتعدا ليتبعه جابر : ما الذى يغضبك يا رجل ؟؟ إنها زوجتك !!

التف وديد فجأة ليتراجع جابر خوفا من الاصطدام به ليقول وديد : اتظننى بهذه الوضاعة !!! ألا تعلم انى اعشقها حتى النخاع ؟؟ كيف تظن أنى قد استغلها بهذا الشكل ؟؟

تنهد جابر : وديد لا داعى لغضبك هذا . إنها زوجتك وانت لا تستغلها .

وديد : زوجتى حين اخذها أمام عمها والجميع من بيت أبيها مكللة بسعادتها . لست أنا من يسرق فرحة حبيبته .

اسرع جابر : حسنا لا تغضب سأغادر بكل الأحوال .وسأبحث عن سكن خاص بدءا من اليوم

أوقفه وديد فورا : أنتظر جابر ، لا تبحث عن سكن يمكنك الإقامة هنا حتى تستلم منزلك بسكن الأطباء ..سأنتقل أنا لشقة ياسمين .

ابتسم جابر بود . وديد يحمل كل معنى كل حرف من اسمه ؛ كم هو سعيد بأنه تعرف إليه حين أقاما سويا بذلك المنزل البسيط أثناء الدراسة وتطورت علاقتهما لصداقة قوية .

وصديقه بالفعل غارق في عشقها وإلا لما انتقل هو لمنزلها خاصة وأنهما يقيمان بنفس البناية.

***

عاد حسين من المشفى إلى منزل أخيه مرة أخرى رغم اعتراض أبناءه ومخاوفهم . استقبلته ياسمين بسعادة غامرة واضحة للأعين . أعدت له حساء الدجاج ولحسن حظه كان جيدا فلم تغامر وتعد شيئا اخر .

تناول الطعام ثم دعاها ليتحدث إليها . جلست أمامه بترقب وتساءلت فورا : عمى علمت أن لك نصيبا فى هذه الشقة . يمكننى ..

رفع يده يقاطع حديثها : لا بنيتى . اخرج مظروفا من جيبه . لقد تنازلت لك رسميا عن نصيبى فى إرث اخى كاملا . وقد وثق احمد التنازل أيضا .

ابتسمت براحة لم تخف عليه ليتابع : أردت التحدث معك بشأن الزفاف وديد يريد إتمام الزواج..اعلم أن دراستك قد تحول دون ذلك .سأنفذ ما تقرريه انت بنيتى .

ظهر الخجل على ملامحها ، وبدأت تقص له ما حدث بالأمس ليتألم قلبه ، لم يعرف من قبل عن خوفها الوحدة والظلام . ابتسم مشجعا لها على التحدث براحة لتقص عليه كل ما حدث ؛ فهذا ما اعتادته مع أبيها ، هو يعلم ذلك جيدا.

صمتت لحظات بعد إنهاء حديثها لتقول : سيحسن رعايتى عمى ..أوافق على إتمام الزواج .

ربت على كفها بحنان : مبارك لك حبيبتي .. علينا تفقد منزله وتجهيزه إذا .

انتفضت بقوة : لا ، سنقيم هنا لقد وافق وديد

رفع حاجبيه بدهشة وسرعان ما تجاوزها : حسنا لا بأس سنعمل على بعض التعديلات فقط .عليك تحديد موعدا ملائما .

ياسمين : سأبدأ بعد اسبوع امتحانات نهاية العام وتستغرق ثلاث اسابيع .

حسين : بعد ستة أسابيع يلائمك إذا ؟؟

هزت رأسها إيجابيا ليفتح ذراعيه ويستقبلها فيغمرها بحنان يحتاجه كل منهما .

***

كان وديد يساعدها في المذاكرة وأصبح وجوده أمرا مسلما به ، وكثيرا ما يبت ليلته على تلك الأريكة رغم توافر غرف شاغرة إلا أنه يحب أن يستشعر قربها منه .

مرت الأيام سريعة وانهت ياسمين الامتحانات وبدأ الاستعداد للزفاف . كانا منسجمين تماما . يختارا ما يحتاج للتغير من الأثاث بتفاهم عجيب .

لم يتشاجرا مرة وربما كان هذا يبعث مزيدا من الراحة لقلب حسين فالشاب يحسن احتواء المواقف .

ساعدتها ريم كثيرا في إعداد ما يخصها هى رغم اعتراض وديد . أراد مشاركتها كل شئ لكن حين حاول فى الجولة الأولى لشراء مستحضرات التجميل فشل

بكل المقاييس ليستسلم للأمر الواقع ويترك هذا الأمر لصديقتها .

ثلاثة أيام هو كل ما تبقى أمامهما . أصر حسين على حفل زفاف رغم اعتراض ياسمين عليه ، هو لم يشأ أن يحرمها أى مما كان سيقدمه لها والدها الراحل .

ستحصل على كل السعادة كما تمنى أخيه .

إنها الجولة الأخيرة بالاسواق كما أقسمت له يسير بجوارها وهو على ثقة بأن الغد سيحمل جولة أخيرة أيضا فهذا حالها منذ أيام.

يتجولان منذ ساعات ويحمل العديد من الحقائب . توقف بغتة أمام أحد المتاجر بينما تجاوزته بخطوات .

انتبهت لتوقفه لتعود له فورا : ما بك وديد؟؟ لم توقفت هنا ؟

أشار برأسه للمتجر لتلتفت بتلقائية ، إنه متجر يبيع مستلزمات نسائية . حمحمت بخجل بيننا قرب رأسه منها هامسا : ذلك الرداء الاسود سيكون مهلكا .

شهقت بخجل وعادت خطوة للوراء ليقترب منها بإصرار :

هيا صغيرتى اشتريه وسانتظرك هنا .

عقدت ساعديها بعند : لن افعل. هيا لنغادر .

سارت خطوات مسرعة ليلاحقها : صغيرتى أنا أريد أن أراك ترتدين هذا الرداء . رجاءا .

وقفت وتنهدت بضيق : ودييييد

لكنه لم ييأس : من أجلى فقط .

عادت تتنهد ودون أن تنظر له قالت بصوت خافت سمعه بالكاد : حسنا اشتريته منذ يومين هلا كففت عن احراجى .

اتسعت ابتسامته وهو يتساءل بلهفة : حقا ؟؟

لتمتنع عن الإجابة وتتقدم ليتبعها فورا دون كلمة أخرى . لقد اشترت سلفا ما سرق عينيه ما إن وقعتا عليه . مؤكدا أن كل ما اقتنته سيكون مبهرا . تلك المدللة التى ستفقده صوابه . وكم يصبو ليفقده !!!

عادا للمنزل بعد جولة مهلكة بالأسواق ليجدا حسين ينتظرهما وقد جمع ملابسه .فزعت ياسمين لرؤية حقيبته : عمى ما هذا ؟؟ هل ستغادر ؟؟

ابتسم حسين : سنغادر سويا بنيتى .

نظرت له بتعجب لتجد ريم تغادر غرفة والدها سابقا والتى أعدت لتكون غرفتها وزوجها وهى تقول بحماس : انتهيت عماه .

تبادلوا النظرات لتضحك ريم على ما يحمله وديد : المزيد من المشتروات يعنى إعادة ما قمت به .

نظرت لهما ياسمين بحيرة ليقول حسين : حجزت غرفة بفندق قريب إنه راق كذلك . هناك ستحصلين على العناية التى تحتاجين إليها .

شعر بخجلها ليقول : كما أنه يجب إغلاق هذه الشقة بدءا من الليلة حتى تدخليها عروسا .

اقتربت مسرعة من عمها ليضمها بحنان ، لقد أقسم أن تحصل على كل السعادة وستحصل عليها .

كل هذا يحدث وهو يقف مكانه بلا حراك ؛ أحقا ستغادر !!

سيمر يومين لن يراها فى الصباح . لن يعدا الطعام معا . لن يشاكسها ويراقبها فى كل حركة .

انتبهت له ريم لتتساءل : هلا اعطيتنى الحقائب وديد ؟

نظر الجميع تجاهه . كان صراعه مع نفسه واضحا .اقتربت منه ياسمين لتحمل الحقائب . حاول أن يبتسم لها ليفشل بجدارة .

توجهت وريم للداخل بينما نظر له حسين : اجلس بنى .

تقدم ببطء ليجلس بالقرب منه فيقول حسين : اعلم وديد أن ياسمين وحيدة تمام . بداية الزواج تكون مقلقة للفتيات ومرهقة أيضا . سترى بعينيها العديد من الأسئلة قد لا تتمكن من طرحها .اعلم انك تعشقها

وستكون متفهما . لكنى اريد منك تفهما مضاعفا فهى حتى لا تملك من تسأله .

هز وديد رأسه : اعلم عماه كلانا لا يملك إلا الآخر .

نظر له حسين بلوم ليقول : بارك اللّه فى عمرك عماه

حسين : حسنا سننتقل للفندق ، هناك مكان مخصص للتجميل .هو نفس الفندق حيث سيقام الزفاف بالمناسبة .

وديد : لكنه مكلف عماه .

ضحك حسين : ليس كما تتخيل الاسعار مناسبة . لولا خوفها من الوحدة لحجزت لها غرفة مستقلة .

عاد يهز رأسه بتفهم ثم ساد الصمت لساعة كاملة قبل أن تخرج برفقة ريم التى أغلقت باب الغرفة وتقدمت من وديد لتضع المفتاح أمامه .

رفع عينيه لها لتقول بلهجة تحذيرية : غير مسموح باستعماله قبل يومين .

ابتسم وديد ونهض حسين : هيا لنرحل الأن بنيتى . انت تحتاجين للراحة .

غادروا جميعا ليغلق حسين الباب ويقدم المفتاح ل وديد الذى ابتسم وهو يضمه بين انامله بسعادة .

أصر أن يصحبهما للفندق وانتظر حتى اطمأن أنها بالغرفة ليعود ادراجه للمنزل .

***

دخل من الباب ليجد جابر منكبا على الطعام كالعادة.

رفع عينيه إليه : هيا وديد شاركنى الطعام .

تحولت ملامحه للاسى وهو يقول : على أن اعتاد تناول الطعام بمفردى . انت ستتزوج واكون بمفردى .

رفع وديد حاجبيه بتعجب : هيا جابر !! أتريد أن تقنعنى أن الوحدة ستؤثر على شهيتك ؟

انفجر جابر ضاحكا : هههههه نلت منى يا رجل هههههه بالطبع لن تفعل هههه .

شاركه وديد الضحك بإبتسامة واسعة ثم قال : جابر اريد استشارتك بأمر هام بصفتك طبيبا .

تبدلت نظرة جابر للجدية : يبدو عليك التوتر . ما الأمر صديقى ؟

تلعثم وديد قليلا : اريدك ان تصف لى دواءا .

اتسعت عينا جابر : ماااذاا؟!

اسرع وديد يقاطعه بحدة : دعنى أنهى حديثى يا رجل .

***

استقرت ياسمين بالغرفة ليرفض حسين نومها قبل العشاء ، أقسمت له أنها تناولت الطعام بالخارج لكنه لم يلتفت لها .

بعد نصف ساعة وصل العشاء للغرفة واضطرت أن تشاركه عمها الذى قال : لديك موعد صباحا فى التاسعة .

نظرت له بتعجب : اى موعد ؟؟

قدم لها ورقة مطوية . فضتها لتجده حجزا فى مركز تجميل ملحق بالفندق وقد سجل به الحجز المسبق لكافة استعدادات العروس .

ابتسمت بخجل ليربت على خدها بحنان : بدءا من هذه الساعة عليك الاسترخاء والراحة فقط .

عادت تبتسم له .لكم هى محظوظة بهذا الرجل بعد رحيل والدها ..حقا لم يتركها وحيدة . بل ترك لها نسخة عنه .

***

كانت ليلة طويلة مرهقة بالكاد حصل على قسط من النوم لم يساعده مطلقا . خاصة بعد حواره مع جابر الذى نصحه بالتحدث الى ياسمين قبل اتخاذ قرار لكنه صمم على رأيه في سابقة لم يعهدها جابر فى علاقتهما التى كان شاهدا عليها منذ البداية .

***

اخيرا ها هو يقف ينتظر أن تطل عليه . تعلقت عينيه بها فور ظهورها . حولها العديد من الفتيات يكدن يختفين من نورها المشرق .

تهبط الدرجات ببطء شديد متعلقة بذراع حسين الذى يغالب نفسه كى لا يفسد ليلتها .

وقفت اخيرا أمامه ليقبل حسين رأسها قبل أن يمد كفها له . تلقفه بلهفة ليرفعه إلى شفتيه دون أن تغادر عينيه عينيها .

اتجها لجلسة التصوير ثم إلى القاعة لتكون ليلة أسطورية مغلفة بالرقى والروعة .

طالت الساعات والحفل لم ينته بعد . استمتع الجميع خاصة وديد . تذكر والدته وكم عانت لأجله . كم تمنى أن تشاركه هذه الليلة !!

وتذكرت هى والدها وكم ضحى لأجلها !! نظرت لعمها الذى يراقب سعادتها وكم تمنت أن يكون والدها يرى هذه السعادة .

اخيرا انتهى الإحتفال ليتوجها لمنزلهما حيث تنتظرهما حياة طويلة حافلة بالسعادة .

دخلا من الباب وكان باب الغرفة مغلقا كما تركته والمفتاح على الطاولة حيث وضعته ريم .

فتح الباب لتتجه نحوه بصمت وخجل لكنه اسرع يحملها بلا جهد مبتسما : عصفورة انت صغيرتى .

رغم شعورها بالخجل إلا أن هناك شعورا اخر بالألفة يسيطر على حواسها . أرخت رأسها فوق كتفه حتى وضعها فوق الفراش .

جلس أمامها يتلمس وجهها بأنامله بأفتنان واضح .
ابتسمت له ليحمحم مبعدا كفه : سأتركك لتبدلى ملابسك . سنصلى سويا .

لم ينتظر اجابتها بل اسرع يحمل ملابسه ويغادر .

ها هما بعد ساعة كاملة يعودان للغرفة مجددا وهى لم تنزع عنها إسدال الصلاة بعد .

نظرت له بحيرة . لا يمكنها تبديله بوجوده . اتجه للفراش بينما تسمرت مكانها وعقدت ساعديها ليتساءل : ما بك صغيرتى ؟

نظرت أرضا : اريد ان ابدل ملابسى .

ابتسم وهو يقترب منها ليقبل رأسها ويغادر الغرفة . مر بعض الوقت ولم يعد للغرفة لتقرر تفقده . خرجت بخطى مترددة لتجده يجلس بصمت وشرود . اقتربت منه بترقب : وديد !!!

رفع عينيه لتذيبه هيئتها بذلك الرداء المهلك الذى تمنى رؤيتها ترتديه . انقطعت أنفاسه وهو يطالعها وقد سيطر جنون قلبه عليه تماما .

نهض بلا تردد ليجذبها نحوه ، ضمها بكل الشوق الذى يعتمل بصدره ، بكل الجنون الذى يثور بقلبه ، بكل اللهفة التى تسيطر على حواسه .

تجولت شفتيه بحرية تطبع بصمته بكل انش منها ، شعر بها ترتعد دون أن تبدى اعتراضا على جموحه ليحملها بين ذراعيه ويتجه إلى الغرفة .

وضعها بالفراش وجلس أمامها يتطلع لها بشغف لعدة دقائق قبل أن يستلقى ويجذبها بين ذراعيه مرة أخرى : نامى صغيرتى . تحتاجين للراحة .

نظرت له بتعجب وانفاس لاهثة ، اقترب مقبلا عينيها لتغمضهما مكرهة . دقائق وهدأت أنفاسها واستلسمت للدفء الذى يحيطها به صدره والأمان الذى يبثه بحواسها لتغفو بوداعة .

***

استيقظت فى الصباح لتجد نفسها وحيدة بالفراش . نهضت بتكاسل لتخرج مئزرا ترتديه وتغادر الغرفة .

كان قد انتهى من إعداد الفطور ويجلس يقلب بين أصابعه الدواء الذي وصفه جابر . ينظر له بحيرة .

هل يخبرها !!!

انتفض على صوتها مناديا اسمه ليخفيه فورا ، اقتربت تنظر له بتعجب : وديد ما الذى وضعته بجيبك ؟؟

زفر بضيق وهو يخرجه لتمسكه دون أن تتعرف على استخدامه فتحت العبوة لتقرأ استخدامات الدواء لتتسع عينيها وتنظر له بصدمة : وديد ما هذا !!؟

الأخير

انتفض على صوتها مناديا اسمه ليخفيه فورا ، اقتربت تنظر له بتعجب : وديد ما الذى وضعته بجيبك ؟؟

زفر بضيق وهو يخرجه لتمسكه دون أن تتعرف على استخدامه فتحت العبوة لتقرأ استخدامات الدواء لتتسع عينيها وتنظر له بصدمة : وديد ما هذا !!؟

ارتبك بوضوح لتلقى الدواء بوجهه بغضب : ألا تريد أن تنجب منى ؟؟ لما تزوجتنى إذا !!؟

امسك وديد كفيها بلهفة : استمعى إلى صغيرتى .

نفضت كفيه عنها : إلام استمع ؟؟ كيف ترانى بتلك الطريقة ؟؟

اتجهت للداخل لتتوقف فجأة وتنظر له بحدة : لذا تهربت منى بالأمس !؟

تنهد وديد واقترب منها : يكفى أنا لا اتهرب منك ولا ارفض ان تنجبى لى أطفالا .بل اهلك شوقا ليوم تحملين بين احشاءك طفل منى .

شعرت بالتوتر والتضارب . إن كان لا يرفض أن تنجب . لما احضر لها دواء يمنع الحمل !!؟

إنه حتى لم يتقرب منها بالأمس !!!

كانت ترى صراعه حين حملها للفراش . صراع لم تدرى مصدره أو أسبابه لكنه بالنهاية ابتعد عنها وطلب منها أن تحصل على قسط من الراحة .

شعر بتخبطها ليقترب ملتقطا كفها : اقسم لك صغيرتى لم اقصد ما وصل إليك .

رفعت عينيها تنظر له ، يبدو صادقا ، حسنا يمكنها أن تستمع له مرة بعد.

مد ذراعه يحيط كتفيها وهو يقول : لازال امامك عام دراسي كامل بالإضافة لصغر سنك . أنا اخاف عليك صغيرتى . أخشى أن يحمل ذلك الطفل الذى أتمناه لك الألم . أردت تأجيل الأمر ليس إلا .

رفع وجهها ينظر مباشرة بعينيها : صدقينى حبيبتى . هذا هو ما فكرت به .أما الحصول على طفل منك فهو اكتمال السعادة .

رأى أنها هدأت وبدأت ملامحها تسترخى . زادها قربا وهو يهمس : اقسم لك صغيرتى .فقط خفت عليك .اقسم لك .

تعلقت به بذراعيها تشد نفسها إليه أكثر وهى تهمس : لكنى لا اريد تأجيل هذا الأمر وديد . ارجوك احتاج هذا الطفل الذى تحاول تأجيله .

شعر بدموعها على كفه الذى يربت على وجنتها ، أبعدها عن صدره : لم البكاء !!؟

اجهشت ببكاء مرير وهى تدفن وجهها فى صدره ، جذبها عائدا للاريكة ليجلس وتستقر بين ذراعيه بألفة ، مسد ظهرها بحنان متسائلا : اعتذر حبيبتي لم ارد أحزانك . سامحيني .لن اجبرك على شئ ترفضينه أنا هنا معك وسأحقق كل ما تتمنين .

شهقت بقوة : ظننتك ترانى لست جيدة كفاية لأكون أما لأبنائك .

ارتعد قلبه لمجرد الفكرة . لم يجد كلمات مناسبة تمحى هذا الظن عن عقلها وقلبها فترك لقلبه إثبات ذلك .

لم يتحدث من هذه اللحظة سوى بكلمة : اعشقك

يرددها من حين لآخر وهو غارق تماما فى خضم من النشوة التى يتذوقها لأول مرة معها .

لا يدرى اى منهما كيف انتهى بهما الأمر فى الغرفة فقد فقد كل منهما الوعى بأى شئ سوى بالآخر .

***

لم يتحدث وديد بشأن تأجيل الحمل مرة أخرى ، إن كان الأمر يفزعها لهذا الحد فلا يجب التطرق إليه .هو يعيش ليبعد عن قلبها كل ما يفزعها .

مرت عدة أشهر وانتظمت ياسمين فى دراستها مرة أخرى ، إنه عامها الاخير وتحتاج تركيز مضاعف .

لم يتخل عمها عنها ويزورها باستمرار رغم أن وديد يرفض زيارتها لمنزل عمها إلا بصحبته وعلى فترات متباعدة وترى تفهم عمها لرغبة زوجها فلم يمثل الأمر لها اى ازعاج .كما أنه رغم ذلك يحاول اسعادها بكل الطرق .

وقفت ياسمين بالمطبخ تعمل على جلى الصحون وهى تتذكر معاملته دائمة الرقة .

كم مرة أفسدت الطعام فينظر لها ويضحك وكأن شيئا لم يكن .

كم مرة احتوى أحزانها من تأخر الحمل ويرى دائما أنه أمر طبيعي . يبثها كل شهر أملا جديدا تحتاجه حقا .

دخل وديد للمنزل فى هذه الأثناء ليتجه للمطبخ تبعا لصوت المياة . اتكأ لإطار الباب ووقف يتطلع لها بشغف

كم تجاهد لترضيه وتقوم بكل واجباتها المنزلية رغم عدم إلمامها بالكيفية اغلب الوقت .محاولاتها وإن فشلت تسعده ،فهى تحاول لأجله.

انهت عملها والتفتت لتفاجئ به خلفها . شهقت وهى تضع كفها فوق قلبها : وديد متى عدت ؟؟

تعلم تلك النظرة بعينيه لكن تجاهلتها وهى تتجاوزه لتمسك أحد قمصانه وتجفف يديها .

نظر لها بتعجب : ماذا تفعلين ؟

هزت كتفيها بلا اكتراث : اجفف يدى

زفر بضيق : استخدمت قميصى !!

عادت تظهر عدم اكتراثها : لم يكن نظيفا بكل الأحوال .

تنهد لتتخطاه وبيدها عبوة منظف من نوع اخر ليتساءل : ماذا ستفعلين ؟

توجهت إلى المرحاض : سأنظف المرحاض

لحق بها قبل أن تصل : لم جففت يديك إذا !!

رفعت كفها الخالى : احب يديا جافتين . إنها مسألة مبدأ .

نظر لها لحظة بغيظ واضح ليقترب فينزع عبوة المنظف من كفها ويضعها جانبا .وفى اللحظة التالية استقرت بين ذراعيه . رفست بساقيها : وديد دعنى أنهى اعمالى .

صوت الدلال المصاحب لكل كلمة تخرج من بين شفتيها تثير جنونه . اقترب برأسه يستنشق عبيرها بعمق هامسا : اشتقتك بجنووون.

ضحكت لتذيب تماسكه : اعلم

رفع أحد حاجبيه ناظرا لها باستنكار لتقول وهى تداعب أنفه : أرى شوقك بعينيك .

وضعها فوق الفراش : وتتعمدين تجاهلى !!؟

ضمت كفيها لصدرها بحماس : بل احب نظرة الشوق تلك . تشعرنى بأنى ملكة على عرش قلبك .

ضمها بدفء لتبعده بعد لحظات : اريد ان اخبرك أمرا .

أعادها لصدره هامسا برجاء : فيما بعد

عادت تبعده بإصرار ، أحاطت وجهه بكفيها ونظرت لعينيه مباشرة : تحققت امنيتى اخيرا .

نظر لها مستفهما لتهبط بكفها إلى بطنها : اخيرا احمل صغيرا هنا .

هبطت عينيه لمستوى كفها ، شعرت أنه توقف عن التنفس . رأته يأخذ شهيقا كأنه يغرق ليضع كفه فوق كفها : هنا !!! حقا !!! تحملين لى صغيرا !!؟

كان يتحدث وعينيه تصعد لعينيها وتهبط لكفها بلا توقف .

ارتفع بجسده استعدادا للنهوض ليستوى جالسا في اللحظة التالية . لم تفهم حتى الأن ما يمر به . رأت دموعه تتجمع بعينيه ليسرع دافنا وجهه قرب رأسها وهو يشدها إليه بقوة .

رفعت أصابعها لرأسه وخللتها شعيراته : وديد

طبع شفتيه فوق رقبتها بعمق وحملها ليلتف فيستقر بالفراش وهى بين ذراعيه .

توسدت صدره : هل انت سعيد ؟؟

زادها زرعا بين ذراعيه : تظلمين احساسى بهذه الكلمة

ابعدت رأسها لتنظر له وترفع إصبعها بشكل تحذيرى : وديد اريد فتاة .

نظر لها بتعجب وضحك : وماذا على أن أفعل ؟

هزت كتفيها : لا أدرى عليك الاحتياط للأمر .

دقق النظر لها وانفجر ضاحكا معيدها لصدره حيث ينبغى أن تكون.

***

لم تواجه صعوبات شديدة أثناء الحمل سوى التوفيق بين الدراسة والمنزل وكان هو هناك دائما لأجلها . داعما بقوة قولا وفعلا .

عمل على منحها اكبر قدر متوفر من الراحة وإن كان على حساب راحته هو .

اخيرا انهت الاختبارات النهائية ولم يحن موعد ولادتها . أمامها شهر بعد لتبدأ شهرها التاسع كما أخبرتها الطبيبة .

ثقلت حركتها وتورمت قدميها . كان يستيقظ ليلا حين يشعر بها تأن يراقبها بقلق ويدلك قدميها المتورمتين .

رفضت بشكل قاطع معرفة نوع الجنين رغم لهفة وديد لذلك لكنها تقول له دائما : ستكون مفاجأة رائعة .

حين شعرت بألم المخاض لم تكن واثقة من الأمر ، أخبرتها الطبيبة أنها قد تتعرض لشئ من الألم من حين لاخر طيلة الشهر الأخير للحمل .

لذا تحملت الألم حتى عاد من عمله . دخل ليجدها مستلقية فوق الأريكة ، وجهها متعرق ويبدو أنها تعانى صعوبة في التنفس .

هرول إليها بفزع : صغيرتى !! ماذا يحدث ؟؟ تتألمين ؟

حاولت أن تبتسم : قليلا . قالت الطبية انى قد اشعر بالالم .

حملها بين ذراعيه متوجها للغرفة : هيا سنتحقق من الأمر .قد يكون ألم الولادة .

لم تفكر في معارضته فهى تتألم كثيراً بالفعل وتخشى افزاعه يكفى ما تشعر هى به من فزع . ساعدها لتبدل ملابسها ويتجه لعيادة الطبيبة . هاتفها أثناء الطريق واخبرها ما تشعر به لتطلب منه التوجه للمشفى .

لم يشعر بالوحدة طيلة حياته مثلما شعر بها هذا اليوم وهو يقف وحيدا أمام غرفة العمليات . دقائق بطيئة طويلة العمر قبل أن تخرج الممرضة وتطلب منه الدخول فزوجته متعبه وتحتاج لدعمه .

ساعدته للتعقيم ودخل ليجدها شاحبة للغاية وقد بلغ منها التعب مبلغه .ترأس الفراش لتمسك كفيه تضغط عليهما بقوة فيقول بحماس : هيا صغيرتى . يمكنك القيام بذلك .انت قوية .

هزت رأسها وهى تضغط بقوة لتقول الطبيبة : تنفسى ياسمين . ثم ادفعى .

أعادوا المحاولة عدة مرات وهو يبثها الثقة والقوة رغم أنه يكاد يسقط من الفزع . يجفف قطرات العرق ويبعدها عن عينيها بسرعة قبل أن تشعر بإرتعاشه . اخيرا وبعد عدة محاولات صدح بكاء الصغير .

شهق ينظر له ولها : أرأيت صغيرتى !!! صرت أما . لقد نجحت حبيبتي .

ارتمى فوقها مخفيا دموعه : احسنت عملا صغيرتى .كنت اثق انك قادرة على ذلك .

مسح وجهه بكفيه وهى تلتقط أنفاسها لتطلب منه الطبيبة قطع الحبل السري للمولود .ارتعشت يده لكنه تمكن من قطعه .

***

استقرت بعد ذلك بساعة باحد الغرف وهو يحمل الصغير يهدهده بحنان .نظر لها لتبادله بعبوس اقلقه .

اقترب منها بهدوء : لم انت غاضبة صغيرتى !!

نظرت له بغضب ممتزج بالحدة : لقد أخبرتك انى اريد فتاة وهذا فتى .

شحب وجهه ولم يفهم ما يحدث معها : صغيرتى ليس الأمر بيد اى منا . هو رزق من اللّه .

عقدت ساعديها بإصرار : كان عليك الاحتياط للأمر .

زفر بضيق فما تتفوه به يعد جنونا مطلق : وماذا تريدين الأن !!؟

زادت عبوسا وهى تمط شفتيها : اريد محاولة أخرى .

رفعت إصبعها بتحذير : وإياك أن تحاول منعى .

ابتلع ريقه بصعوبة ، لقد فقدت عقلها لا محالة . هى بالكاد تتحدث بعد الولادة لتطلب محاولة أخرى .

حسنا لن يجادلها الأن فهى مشوشة ، لا يحتاج لذكاء ليرى ذلك .

تنهد وهو يتجه إلى فراش الصغير لتتساءل بلهفة : اين تأخذه ؟

وديد بصبر : لن أخذه حبيبتى سأضعه بفراشه .

مدت ذراعيها : لا أحضره إلى .

ناولها الصغير لتضعه فوق صدرها : سيتوسد قلب أمه .

نظر لها بحيرة ، هى مشوشة بكل تأكيد . مد كفيه يحاول حمل الصغير : انت متعبة حبيبتي. سأضعه بالفراش .

ضمت ذراعيها حول صغيرها : لا سينام هنا .

تنهد عائدا للاريكة لتقول : عليك الحصول على قسط من الراحة وديد .

تمدد بإرهاق مغمضا عينيه هربا منها ليس إلا .

نظرت له بعد عدة دقائق لتجده مغمض العينين بأنفاس هادئة . قربت الصغير لتطبع قبله على جبينه وتقول : إياك أن تصدق ما أخبرت به والدك . اريد ان تحصل على العديد من الإخوة . وأخشى أن يمنعنى والدك.

تنهدت بألم : لن تكون وحيدا . لكنك ستكون الأكبر ، الاكثر تفهما ،وعطفا ، وحنانا . ستكون مسئولا امامى عن اخوتك .

ربتت فوق ظهره برقة : قريبا جدا ستحصل على اخ صغير ، جميل ورقيق مثلك يا قلب امك انت .

عادت تقبله وتحيطه بذراعيها : لنغفو قليلا حبيبى فقد انهكتنى تماما . كن مطيعا ونم هادئا حتى لا تزعج والدك .

صمتت اخيرا واغمضت عينيها دون أن تنتبه لتلك الابتسامة التى تتسع على شفتى وديد . اعتدل بهدوء ينظر لها . سرعان ما سقطت في النوم .

نهض ليحمل صغيره بهدوء إلى فراشه ويعود ليستلقى فوق الأريكة .

***

لم يعلم كم مر من وقت قبل أن يستيقظ فزعا على صرختها باسمه .انتفض واقفا : ماذا حدث ؟

توجه لفراشها لتقول بفزع وهى تتلفت حولها : ابنى وديد . كان هنا فوق صدرى . هل اسقطته ؟؟ هل ..

اسرع مقاطعا استرسالها الفزع : إنه هنا بفراشه .

نظرت له يتجه للفراش ليعود بالصغير فتبكى فورا وهى تلتقطه من بين يديه: اياك ان تبعده عنى مرة أخرى . لقد افزعتنى .

جلس بطرف الفراش ليرفع جذعها العلوى فتستقر نصف جالسة فوق صدره . مد ذراعيه يحيطهما معا : لا تبكى صغيرتى . قد يفزع حسن من بكاءك .

رددت بصوت هامس : حسن !!!

مسد فوق الصغير : صغيرنا حسن .

تبخرت الدموع وهى تضحك وتقبل الصغير بين ذراعيها : ارهقتنى شوقا يا حسن .

***

مرت الأيام لتنجب ياسمين ابنها الثانى والثالث وهى تبدى الغضب كل مرة وتصر على إنجاب فتاة .

وها هي للمرة الرابعة بغرفة الولادة .

كانت الولادة متعبة للغاية فحقنتها الطبيبة بمنوم لتمرر الساعات الأولى المرهقة بعد الولادة .

وها هو يجلس بجواره أبناءه الثلاثة حسن ذو السبع سنوات، يامن الذى تجاوز الخمس سنوات ونصف و سامر ذو الثلاث سنوات .كما يصحبهم محمود وزوجته ريم

التى تحمل طفلتها رنا .فمنذ زواجهما منذ عامين وقد أصبحوا مقربين للغاية .لقد هون قرب محمود على وديد بعده عن صديقه جابر الذى تزوج وسافر للعمل بدولة أخرى باحثا عن مستقبل أفضل .

يجلسون جميعا في انتظار صحوتها . اخيرا فتحت عينيها ليهب نحوها الجميع ويتساءل وديد بقلق : كيف تشعرين صغيرتى ؟

ابتسمت للجميع : أنا بخير .

توجه نحو الفراش : اتريدين رؤية الفتاتان .

حمل إحدى الفتاتين وحمل محمود الأخرى لتقول ريم : اخيرا تحققت أمنيتك

توجها لفراشها ليقول حسن : سنسمى إحداهما رقية .

ويقول يامن : والأخرى ريم

تنظر ل سامر : وانت الن تقترح اسماء ؟

هز الصغير كتفيه بلا مبالاة ليقول وديد : أظنك اكتفيت أطفالا صغيرتى .

نظرت له بعبوس ليضحك : هههه أردت فتاة وحصلت على اثنتين وثلاثة فتية . كفاك محاولات .

عقدت ساعديها : بل سأحاول مرة أخرى.

نظر لها الجميع بصدمة لتتراجع : بعد عدة سنوات . لا تنظر إلى هكذا وديد

ضحك وديد واقترب من الفراش ليضع الفتاة فوق صدرها بحرص كما اعتادت وضع أطفالها ليقدم له محمود الأخرى ليضعها أيضا فوق صدرها .

تنحنح محمود : حسنا مبارك لكما رزقكما.. جعلهما الله ذرية صالحة .

ابتسمت وريم تقترب لتقبلها : سأعود لك فى المساء .فهذه الليلة سيبيت الرجال بأطفالهم وسأبيت معك والفتاتين .

نظر لها وديد ومحمود بحدة لكن يبدو أنها لن تتراجع .دقائق وغادرت بصحبة زوجها .

اغلق وديد الباب فور خروجها و نظر لأبنائه فوجدهم عادوا للاريكة يتباحثون أمرا ما بخفوت ويبدو أن حسن يخبر شقيقيه ما أخبره به من وجوب مساعدة أمه في الفترة المقبلة ورعاية الصغيرتين ، فهذا الصغير يحسن أداء دور الاخ الأكبر متبعا بحرفية كل تعليمات والدته التى أصبح يلقبها مؤخرا ؛ مدللة الوديد . ورغم ما يظهره وديد من تحفظ لهذا اللقب إلا أنه يعشقه فقد نسبها إليه .

اقترب مقبلا جبينها بعمق هامسا : احسنت عملا صغيرتى . أصبح لنا عائلة كبيرة . سنكتفى بهم وعليك من الأن فصاعدا الاهتمام بصحتك فحسب .

رفعت عينيها المجهدتين تنظر له : اعشقك وديد

عاد يقبل جبينها : وانا اعشقك يا مدللة الوديد .

قطبت جبينها معترضة : هذا لقب حسن لى . ويغضبك كما تقول .

ابتسم بحنان : كيف يغضبنى وهو ينسبك إلي ؟؟

اختطف نظرة لأبنائه ثم همس : لا أخفيك حقيقة الأمر ؛ أريد أن استحوذ عليه لنفسى .

ابتسمت وأشارت له ليقترب منها فتقبل وجنته بدفء : لكم اعشقك يا وديد !!

بادلها قبلتها باثنتين : ولكم اذوب عشقا في ثنياك يا مدللة الوديد !!!

تمـــــت بحمد اللّه

الأخير

انتفض على صوتها مناديا اسمه ليخفيه فورا ، اقتربت تنظر له بتعجب : وديد ما الذى وضعته بجيبك ؟؟

زفر بضيق وهو يخرجه لتمسكه دون أن تتعرف على استخدامه فتحت العبوة لتقرأ استخدامات الدواء لتتسع عينيها وتنظر له بصدمة : وديد ما هذا !!؟

ارتبك بوضوح لتلقى الدواء بوجهه بغضب : ألا تريد أن تنجب منى ؟؟ لما تزوجتنى إذا !!؟

امسك وديد كفيها بلهفة : استمعى إلى صغيرتى .

نفضت كفيه عنها : إلام استمع ؟؟ كيف ترانى بتلك الطريقة ؟؟

اتجهت للداخل لتتوقف فجأة وتنظر له بحدة : لذا تهربت منى بالأمس !؟

تنهد وديد واقترب منها : يكفى أنا لا اتهرب منك ولا ارفض ان تنجبى لى أطفالا .بل اهلك شوقا ليوم تحملين بين احشاءك طفل منى .

شعرت بالتوتر والتضارب . إن كان لا يرفض أن تنجب .

لما احضر لها دواء يمنع الحمل !!؟

إنه حتى لم يتقرب منها بالأمس !!!

كانت ترى صراعه حين حملها للفراش . صراع لم تدرى مصدره أو أسبابه لكنه بالنهاية ابتعد عنها وطلب منها أن تحصل على قسط من الراحة .

شعر بتخبطها ليقترب ملتقطا كفها : اقسم لك صغيرتى لم اقصد ما وصل إليك .

رفعت عينيها تنظر له ، يبدو صادقا ، حسنا يمكنها أن تستمع له مرة بعد.

مد ذراعه يحيط كتفيها وهو يقول : لازال امامك عام دراسي كامل بالإضافة لصغر سنك . أنا اخاف عليك صغيرتى . أخشى أن يحمل ذلك الطفل الذى أتمناه لك الألم . أردت تأجيل الأمر ليس إلا .

رفع وجهها ينظر مباشرة بعينيها : صدقينى حبيبتى . هذا هو ما فكرت به .أما الحصول على طفل منك فهو اكتمال السعادة .

رأى أنها هدأت وبدأت ملامحها تسترخى . زادها قربا وهو يهمس : اقسم لك صغيرتى .فقط خفت عليك .اقسم لك .

تعلقت به بذراعيها تشد نفسها إليه أكثر وهى تهمس : لكنى لا اريد تأجيل هذا الأمر وديد . ارجوك احتاج هذا الطفل الذى تحاول تأجيله .

شعر بدموعها على كفه الذى يربت على وجنتها ، أبعدها عن صدره : لم البكاء !!؟

اجهشت ببكاء مرير وهى تدفن وجهها فى صدره ، جذبها عائدا للاريكة ليجلس وتستقر بين ذراعيه بألفة ، مسد ظهرها بحنان متسائلا : اعتذر حبيبتي لم ارد أحزانك . سامحيني .لن اجبرك على شئ ترفضينه أنا هنا معك وسأحقق كل ما تتمنين .

شهقت بقوة : ظننتك ترانى لست جيدة كفاية لأكون أما لأبنائك .

ارتعد قلبه لمجرد الفكرة . لم يجد كلمات مناسبة تمحى هذا الظن عن عقلها وقلبها فترك لقلبه إثبات ذلك .

لم يتحدث من هذه اللحظة سوى بكلمة : اعشقك

يرددها من حين لآخر وهو غارق تماما فى خضم من النشوة التى يتذوقها لأول مرة معها .

لا يدرى اى منهما كيف انتهى بهما الأمر فى الغرفة فقد فقد كل منهما الوعى بأى شئ سوى بالآخر .

***

لم يتحدث وديد بشأن تأجيل الحمل مرة أخرى ، إن كان الأمر يفزعها لهذا الحد فلا يجب التطرق إليه .هو يعيش ليبعد عن قلبها كل ما يفزعها .

مرت عدة أشهر وانتظمت ياسمين فى دراستها مرة أخرى ، إنه عامها الاخير وتحتاج تركيز مضاعف .

لم يتخل عمها عنها ويزورها باستمرار رغم أن وديد يرفض زيارتها لمنزل عمها إلا بصحبته وعلى فترات

متباعدة وترى تفهم عمها لرغبة زوجها فلم يمثل الأمر لها اى ازعاج .كما أنه رغم ذلك يحاول اسعادها بكل الطرق .

وقفت ياسمين بالمطبخ تعمل على جلى الصحون وهى تتذكر معاملته دائمة الرقة .

كم مرة أفسدت الطعام فينظر لها ويضحك وكأن شيئا لم يكن .

كم مرة احتوى أحزانها من تأخر الحمل ويرى دائما أنه أمر طبيعي . يبثها كل شهر أملا جديدا تحتاجه حقا .

دخل وديد للمنزل فى هذه الأثناء ليتجه للمطبخ تبعا لصوت المياة . اتكأ لإطار الباب ووقف يتطلع لها بشغف .

كم تجاهد لترضيه وتقوم بكل واجباتها المنزلية رغم عدم إلمامها بالكيفية اغلب الوقت .محاولاتها وإن فشلت تسعده ،فهى تحاول لأجله.

انهت عملها والتفتت لتفاجئ به خلفها . شهقت وهى تضع كفها فوق قلبها : وديد متى عدت ؟؟

تعلم تلك النظرة بعينيه لكن تجاهلتها وهى تتجاوزه لتمسك أحد قمصانه وتجفف يديها .

نظر لها بتعجب : ماذا تفعلين ؟

هزت كتفيها بلا اكتراث : اجفف يدى

زفر بضيق : استخدمت قميصى !!

عادت تظهر عدم اكتراثها : لم يكن نظيفا بكل الأحوال .

تنهد لتتخطاه وبيدها عبوة منظف من نوع اخر ليتساءل : ماذا ستفعلين ؟

توجهت إلى المرحاض : سأنظف المرحاض

لحق بها قبل أن تصل : لم جففت يديك إذا !!

رفعت كفها الخالى : احب يديا جافتين . إنها مسألة مبدأ .

نظر لها لحظة بغيظ واضح ليقترب فينزع عبوة المنظف من كفها ويضعها جانبا .وفى اللحظة التالية استقرت بين ذراعيه . رفست بساقيها : وديد دعنى أنهى اعمالى .

صوت الدلال المصاحب لكل كلمة تخرج من بين شفتيها تثير جنونه . اقترب برأسه يستنشق عبيرها بعمق هامسا : اشتقتك بجنووون.

ضحكت لتذيب تماسكه : اعلم

رفع أحد حاجبيه ناظرا لها باستنكار لتقول وهى تداعب أنفه : أرى شوقك بعينيك .

وضعها فوق الفراش : وتتعمدين تجاهلى !!؟

ضمت كفيها لصدرها بحماس : بل احب نظرة الشوق تلك . تشعرنى بأنى ملكة على عرش قلبك .

ضمها بدفء لتبعده بعد لحظات : اريد ان اخبرك أمرا .

أعادها لصدره هامسا برجاء : فيما بعد

عادت تبعده بإصرار ، أحاطت وجهه بكفيها ونظرت لعينيه مباشرة : تحققت امنيتى اخيرا .

نظر لها مستفهما لتهبط بكفها إلى بطنها : اخيرا احمل صغيرا هنا .

هبطت عينيه لمستوى كفها ، شعرت أنه توقف عن التنفس . رأته يأخذ شهيقا كأنه يغرق ليضع كفه فوق كفها : هنا !!! حقا !!! تحملين لى صغيرا !!؟

كان يتحدث وعينيه تصعد لعينيها وتهبط لكفها بلا توقف .

ارتفع بجسده استعدادا للنهوض ليستوى جالسا في اللحظة التالية . لم تفهم حتى الأن ما يمر به . رأت دموعه تتجمع بعينيه ليسرع دافنا وجهه قرب رأسها وهو يشدها إليه بقوة .

رفعت أصابعها لرأسه وخللتها شعيراته : وديد

طبع شفتيه فوق رقبتها بعمق وحملها ليلتف فيستقر بالفراش وهى بين ذراعيه .

توسدت صدره : هل انت سعيد ؟؟

زادها زرعا بين ذراعيه : تظلمين احساسى بهذه الكلمة .

ابعدت رأسها لتنظر له وترفع إصبعها بشكل تحذيرى : وديد اريد فتاة .

نظر لها بتعجب وضحك : وماذا على أن أفعل ؟

هزت كتفيها : لا أدرى عليك الاحتياط للأمر .

دقق النظر لها وانفجر ضاحكا معيدها لصدره حيث ينبغى أن تكون.

***

لم تواجه صعوبات شديدة أثناء الحمل سوى التوفيق بين الدراسة والمنزل وكان هو هناك دائما لأجلها . داعما بقوة قولا وفعلا .

عمل على منحها اكبر قدر متوفر من الراحة وإن كان على حساب راحته هو .

اخيرا انهت الاختبارات النهائية ولم يحن موعد ولادتها . أمامها شهر بعد لتبدأ شهرها التاسع كما أخبرتها الطبيبة .

ثقلت حركتها وتورمت قدميها . كان يستيقظ ليلا حين يشعر بها تأن يراقبها بقلق ويدلك قدميها المتورمتين .

رفضت بشكل قاطع معرفة نوع الجنين رغم لهفة وديد لذلك لكنها تقول له دائما : ستكون مفاجأة رائعة .

حين شعرت بألم المخاض لم تكن واثقة من الأمر ، أخبرتها الطبيبة أنها قد تتعرض لشئ من الألم من حين لاخر طيلة الشهر الأخير للحمل .

لذا تحملت الألم حتى عاد من عمله . دخل ليجدها مستلقية فوق الأريكة ، وجهها متعرق ويبدو أنها تعانى صعوبة في التنفس .

هرول إليها بفزع : صغيرتى !! ماذا يحدث ؟؟ تتألمين ؟

حاولت أن تبتسم : قليلا . قالت الطبية انى قد اشعر بالالم .

حملها بين ذراعيه متوجها للغرفة : هيا سنتحقق من الأمر .قد يكون ألم الولادة .

لم تفكر في معارضته فهى تتألم كثيراً بالفعل وتخشى افزاعه يكفى ما تشعر هى به من فزع . ساعدها لتبدل ملابسها ويتجه لعيادة الطبيبة . هاتفها أثناء الطريق واخبرها ما تشعر به لتطلب منه التوجه للمشفى .

لم يشعر بالوحدة طيلة حياته مثلما شعر بها هذا اليوم وهو يقف وحيدا أمام غرفة العمليات . دقائق بطيئة طويلة العمر قبل أن تخرج الممرضة وتطلب منه الدخول فزوجته متعبه وتحتاج لدعمه .

ساعدته للتعقيم ودخل ليجدها شاحبة للغاية وقد بلغ منها التعب مبلغه .ترأس الفراش لتمسك كفيه تضغط عليهما بقوة فيقول بحماس : هيا صغيرتى . يمكنك القيام بذلك .انت قوية .

هزت رأسها وهى تضغط بقوة لتقول الطبيبة : تنفسى ياسمين . ثم ادفعى .

أعادوا المحاولة عدة مرات وهو يبثها الثقة والقوة رغم أنه يكاد يسقط من الفزع . يجفف قطرات العرق ويبعدها عن عينيها بسرعة قبل أن تشعر بإرتعاشه . اخيرا وبعد عدة محاولات صدح بكاء الصغير .

شهق ينظر له ولها : أرأيت صغيرتى !!! صرت أما . لقد نجحت حبيبتي .

ارتمى فوقها مخفيا دموعه : احسنت عملا صغيرتى .كنت اثق انك قادرة على ذلك .

مسح وجهه بكفيه وهى تلتقط أنفاسها لتطلب منه الطبيبة قطع الحبل السري للمولود .ارتعشت يده لكنه تمكن من قطعه .

***

استقرت بعد ذلك بساعة باحد الغرف وهو يحمل الصغير يهدهده بحنان .نظر لها لتبادله بعبوس اقلقه .

اقترب منها بهدوء : لم انت غاضبة صغيرتى !!

نظرت له بغضب ممتزج بالحدة : لقد أخبرتك انى اريد فتاة وهذا فتى .

شحب وجهه ولم يفهم ما يحدث معها : صغيرتى ليس الأمر بيد اى منا . هو رزق من اللّه .

عقدت ساعديها بإصرار : كان عليك الاحتياط للأمر .

زفر بضيق فما تتفوه به يعد جنونا مطلق : وماذا تريدين الأن !!؟

زادت عبوسا وهى تمط شفتيها : اريد محاولة أخرى .

رفعت إصبعها بتحذير : وإياك أن تحاول منعى .

ابتلع ريقه بصعوبة ، لقد فقدت عقلها لا محالة . هى بالكاد تتحدث بعد الولادة لتطلب محاولة أخرى .

حسنا لن يجادلها الأن فهى مشوشة ، لا يحتاج لذكاء ليرى ذلك .

تنهد وهو يتجه إلى فراش الصغير لتتساءل بلهفة : اين تأخذه ؟

وديد بصبر : لن أخذه حبيبتى سأضعه بفراشه .

مدت ذراعيها : لا أحضره إلى .

ناولها الصغير لتضعه فوق صدرها : سيتوسد قلب أمه .

نظر لها بحيرة ، هى مشوشة بكل تأكيد . مد كفيه يحاول حمل الصغير : انت متعبة حبيبتي. سأضعه بالفراش .

ضمت ذراعيها حول صغيرها : لا سينام هنا .

تنهد عائدا للاريكة لتقول : عليك الحصول على قسط من الراحة وديد .

تمدد بإرهاق مغمضا عينيه هربا منها ليس إلا .

نظرت له بعد عدة دقائق لتجده مغمض العينين بأنفاس هادئة . قربت الصغير لتطبع قبله على جبينه وتقول : إياك أن تصدق ما أخبرت به والدك . اريد ان تحصل على العديد من الإخوة . وأخشى أن يمنعنى والدك.

تنهدت بألم : لن تكون وحيدا . لكنك ستكون الأكبر ، الاكثر تفهما ،وعطفا ، وحنانا . ستكون مسئولا امامى عن اخوتك .

ربتت فوق ظهره برقة : قريبا جدا ستحصل على اخ صغير ، جميل ورقيق مثلك يا قلب امك انت .

عادت تقبله وتحيطه بذراعيها : لنغفو قليلا حبيبى فقد انهكتنى تماما . كن مطيعا ونم هادئا حتى لا تزعج والدك .

صمتت اخيرا واغمضت عينيها دون أن تنتبه لتلك الابتسامة التى تتسع على شفتى وديد . اعتدل بهدوء ينظر لها . سرعان ما سقطت في النوم .

نهض ليحمل صغيره بهدوء إلى فراشه ويعود ليستلقى فوق الأريكة .

***

لم يعلم كم مر من وقت قبل أن يستيقظ فزعا على صرختها باسمه .انتفض واقفا : ماذا حدث ؟

توجه لفراشها لتقول بفزع وهى تتلفت حولها : ابنى وديد . كان هنا فوق صدرى . هل اسقطته ؟؟ هل ..

اسرع مقاطعا استرسالها الفزع : إنه هنا بفراشه .

نظرت له يتجه للفراش ليعود بالصغير فتبكى فورا وهى تلتقطه من بين يديه: اياك ان تبعده عنى مرة أخرى . لقد افزعتنى .

جلس بطرف الفراش ليرفع جذعها العلوى فتستقر نصف جالسة فوق صدره . مد ذراعيه يحيطهما معا : لا تبكى صغيرتى . قد يفزع حسن من بكاءك .

رددت بصوت هامس : حسن !!!

مسد فوق الصغير : صغيرنا حسن .

تبخرت الدموع وهى تضحك وتقبل الصغير بين ذراعيها : ارهقتنى شوقا يا حسن .

***

مرت الأيام لتنجب ياسمين ابنها الثانى والثالث وهى تبدى الغضب كل مرة وتصر على إنجاب فتاة .

وها هي للمرة الرابعة بغرفة الولادة .

كانت الولادة متعبة للغاية فحقنتها الطبيبة بمنوم لتمرر الساعات الأولى المرهقة بعد الولادة .

وها هو يجلس بجواره أبناءه الثلاثة حسن ذو السبع سنوات، يامن الذى تجاوز الخمس سنوات ونصف و سامر

ذو الثلاث سنوات .كما يصحبهم محمود وزوجته ريم التى تحمل طفلتها رنا .فمنذ زواجهما منذ عامين وقد أصبحوا مقربين للغاية .لقد هون قرب محمود على وديد بعده عن صديقه جابر الذى تزوج وسافر للعمل بدولة أخرى باحثا عن مستقبل أفضل .

يجلسون جميعا في انتظار صحوتها . اخيرا فتحت عينيها ليهب نحوها الجميع ويتساءل وديد بقلق : كيف تشعرين صغيرتى ؟

ابتسمت للجميع : أنا بخير .

توجه نحو الفراش : اتريدين رؤية الفتاتان .

حمل إحدى الفتاتين وحمل محمود الأخرى لتقول ريم : اخيرا تحققت أمنيتك

توجها لفراشها ليقول حسن : سنسمى إحداهما رقية .

ويقول يامن : والأخرى ريم

تنظر ل سامر : وانت الن تقترح اسماء ؟

هز الصغير كتفيه بلا مبالاة ليقول وديد : أظنك اكتفيت أطفالا صغيرتى .

نظرت له بعبوس ليضحك : هههه أردت فتاة وحصلت على اثنتين وثلاثة فتية . كفاك محاولات .

عقدت ساعديها : بل سأحاول مرة أخرى.

نظر لها الجميع بصدمة لتتراجع : بعد عدة سنوات . لا تنظر إلى هكذا وديد

ضحك وديد واقترب من الفراش ليضع الفتاة فوق صدرها بحرص كما اعتادت وضع أطفالها ليقدم له محمود الأخرى ليضعها أيضا فوق صدرها .

تنحنح محمود : حسنا مبارك لكما رزقكما.. جعلهما اللّه ذرية صالحة .

ابتسمت وريم تقترب لتقبلها : سأعود لك فى المساء .فهذه الليلة سيبيت الرجال بأطفالهم وسأبيت معك والفتاتين .

نظر لها وديد ومحمود بحدة لكن يبدو أنها لن تتراجع دقائق وغادرت بصحبة زوجها .

اغلق وديد الباب فور خروجها و نظر لأبنائه فوجدهم عادوا للاريكة يتباحثون أمرا ما بخفوت ويبدو أن حسن يخبر شقيقيه ما أخبره به من وجوب مساعدة أمه في الفترة المقبلة ورعاية الصغيرتين ، فهذا الصغير يحسن أداء دور الاخ الأكبر متبعا بحرفية كل تعليمات والدته التى أصبح يلقبها مؤخرا ؛ مدللة الوديد . ورغم ما يظهره وديد من تحفظ لهذا اللقب إلا أنه يعشقه فقد نسبها إليه .

اقترب مقبلا جبينها بعمق هامسا : احسنت عملا صغيرتى . أصبح لنا عائلة كبيرة . سنكتفى بهم وعليك من الأن فصاعدا الاهتمام بصحتك فحسب .

رفعت عينيها المجهدتين تنظر له : اعشقك وديد

عاد يقبل جبينها : وانا اعشقك يا مدللة الوديد .

قطبت جبينها معترضة : هذا لقب حسن لى . ويغضبك كما تقول .

ابتسم بحنان : كيف يغضبنى وهو ينسبك إلي ؟؟

اختطف نظرة لأبنائه ثم همس : لا أخفيك حقيقة الأمر ؛ أريد أن استحوذ عليه لنفسى .

ابتسمت وأشارت له ليقترب منها فتقبل وجنته بدفء : لكم اعشقك يا وديد !!

بادلها قبلتها باثنتين : ولكم اذوب عشقا في ثنياك يا مدللة الوديد !!!

تمت بحمد اللّه